كأس السلسبيل

مِن فَوَائِدِ حَدِيثِ جِبْرِيل

قدَّم له :

فضيلة الشيخ :

د. محمد هشام الطاهري

وفضيلة الشيخ :

د. فوزي عثمان صالح

تَصْنِيفُ

الصغيِّر بن عمَّار

غفر الله له ولوالديه

كأس السلسبيل

من فوائد حديث جبريل

تقريظ الشيخ د. محمد هشام الطاهري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العظيم الجليل، أحمده سبحانه أكرمنا بالتنزيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنعم علينا بإنزال الذكرل بواسطة جبريل، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم يخرج من فيه كالسلسبيل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعدُ؛

فقد تصفَّحْتُ ما كتبه أخونا الشيخ الدكتور/ الصَّغيِّر بن عمار -وفقه الله- مِن تأليفٍ جميلٍ، وتبيين جليلٍ، فيما يتعلق بحديث جريل، وسماه:

(كأسُ السلسبيل مِن فوائد حديب جبريل)

فوجدت تأليفَه مسدَّدًا، وشرحَه بأقوال أهل العلم مؤيَّدًا، مع إيرادٍ لأسئلة وإشكالات وأجوبتها، وذكرٍ للفوائد مع مصادرها.

ومما زاد في شرح هذا الحديث المبارَك ترتيبُه، ووضعُه على صورة عناوين بارزة وجانبية، ومسائل لغوية واصطلاحية، مع بروزٍ لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإظهارها على الصورة اللائقة بها، وبيان خطأ وضلال ما خالفها، فجزاه الله خيراً على هذا الكأسِ من السلسبيل، وبارك في علمه وعمله وزاده المولى الجليل، وشكر الله له ولمن نشر مؤلَّفه أو قرأه أو استفاد منه، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد خير خلقه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ د. محمد هشام الطاهري

١٤٤٢/٠٦/١٨هـ

تقريظ الشيخ د. فوزي صالح عثمان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فقد اطلعت على كتاب الشيخ الفاضل د. الصغير بن عمار -حفظه الله- الموسوم بـ (كأس السلسبيل من فوائد حديث جبريل)، وألفيته كتابًا له من اسمه أوفَرُ الحظِّ والنَّصيب، يجمع بين السهولة والمتعة وجَودة المعلومة، وحسن النقل والترتيب.

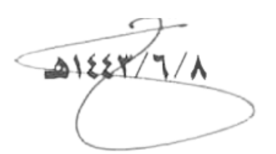
وقد وُفِّق الشيخُ في اختياره لشرح حديث جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ المعروف عند أهل العلم (بأُمِّ السنة)، كونه حَوى أهمَّ المطالب التي يحتاج إليها كلُّ مسلم ومسلمة.

واللهَ أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبَه وقارئَه، وأن يجعل صاحبَه من أئمة الهدى والدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه/ د. فوزي صالح عثمان

الأستاذ بجامعة المعرفة العالمية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدُ اللهَ على تتابُعِ آلائهِ ودَفْعِ لأوائِه، وأشكُرُه على ما أسبَغَ مِن إفْضالِه وغَمَرَ مِن نَوالِه، وأصَلِّي على أشرف الخَلق: محمَّدٍ وآلِه، وأسَلِّم عليه إلى يوم لقائهِ[١]. أمَّا بعد،

فهذه ورقات في شرح حديثٍ نبويٍّ عظيمٍ مِن جوامعِ كَلِمِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اعتنى به العلماء قديمًا وحديثًا، وأوْدَعُوه في الكتب الجوامع، وأفرَدوه بمصنَّفاتٍ مستقلَّةٍ، واستنبَطوا منه الفوائد البدائع.

ومن أشهر تلك الكتب: «**الأربعون في مباني الإسلام وقواعد الأحكام**»، للحافظ أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (المتوفَّى سنة ٦٧٦ هـ)، المشهور باسم «**الأربعين النووية**»[٢]، وقد أورد هذا الحديث في جملة الأحاديث الجوامع من كلام النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١- هذه ديباجة الحافظ ابن الملقِّن رَحِمَهُ اللَّهُ لكتابه: «المعين على تفهُّم الأربعين» (ص ٣١).

٢- ولي عليه شرحان صوتيان: أحدهما مختصر:



والآخر مطوَّل، يسَّر الله إتمامَه:

=

واشتهر هذا الحديث عند أهل العلم بـ«حديث جبريل» نظرًا لأنَّ السائلَ فيه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أمينُ الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويسمَّى هذا الحديث أيضا بـ«تعليم الدين»، لأنَّ جبريلَ جاء يعلِّم الناسَ دينَهم، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُم دينَكُم**».

الدين ثلاثُ مراتبَ: إسلام، وإيمان، وإحسان

وهذا الحديث العظيم جاء لبيان أصول الشريعة ومبانيها العظام، وتوضيحُ ذلك أنْ يُعلَم أنَّ مراتبَ الدينِ ثلاث:

- **المرتبة الأولى**: هي مرتبة الإسلام، وعليها مدارُ الفقه، إجمالًا.

والمرتبة الثانية: هي مرتبة الإيمان، وعليها تنبني أصولُ العقيدة.

- **والمرتبة الثالثة**: هي مرتبة الإحسان، وعليها مدارُ السلوك وما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من أعمال القلوب.

وعلى هذا، تدرَّجت أسئلةُ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنَّ الدينَ عقائدُ، وشرائعُ، وتربيةٌ وأخلاق.

=



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والعلم الممدوح هو الذي ورَّثه الأنبياء، **وهذا العلم ثلاثة أقسام:**

الأول: علم بأسماء الله وصفاته وما يتبع ذلك.

والثاني: العلم بما أخبر الله تعالى به مما كان من الأمور الماضية ومما يكون من المستقبلة وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثله أنزل الله القَصص والوَعد والوَعيد وصِفَة الجنة والنار.

والثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح، من الإيمان بالله، ومن معارفِ القلوب وأحوالها، وأحوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه العلم بأصول الإيمان، وقواعد الإسلام، والعلم بالأقوال والأفعال الظاهرة مما هو في كتب الفقه». انتهى.

وإلى هذا أشار ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[٢]:

والعلـــــمُ أَقسَـــــامٌ ثَـــلَاثٌ مَالَهَـــا
مِــــن رَابِـــعٍ وَالحـــــقُّ ذُو تِبْيـــانِ
علـــمٌ بأوصــــاف الإِلَــــهِ وفِعلـــهِ
وكـــــذلك الأســــــماءُ للـــــدَّيانِ

١- «المستدرك على مجموع الفتاوى» (١/ ١٢).

٢- انظر «شرح النونية» للهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٢٤٣)،.

والأَمـــرُ وَالنَّهْـــيُ الَّـــذِي هُـــوَ دينُـــهُ
وجـــزاؤُهُ يـــومَ المَعَـــادِ الثَّـــانِي
والكُـــلُّ في الْقُـــرْآنِ والسُّـــنَنِ التـــي
جَـــاءَت عَـــن المَبعـــوثِ بالفُرقـــانِ
واللهِ مـــا قـــالَ امْـــرُؤ مُتَحَـــذْلِقٌ
بسِـــواهُما إلَّا مِـــنَ الهَـــذَيانِ

والمتأمِّـلُ في الكتب المصنفة في اعتقاد أهل السنة والجماعة يجِدُ أنَّ من المسائلِ المُودَعَةِ فيها: أخلاقَ أهلِ السنة وصفاتِهم التي تَـحَلَّوْا بها: مِن العبادةِ، واحتقارِ النَّفس، والعملِ الصالح، والإحسان إلى الخَلق، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأوصاف المَجيدة.

وبهذا يَجمَعُ أتباعُ السَّلف بين الهُدى، وهو العلم النافع، ودين الحق، وهو العمل الصالح، **لأنَّ دينَ أهلِ السُّنَّة والجماعة ليس عقائدَ قلبيَّة فحَسْب، بل دينُ أهلِ السُّنَّة والجماعة هو: عقائدُ قلبيةٌ، وحقائقُ إيمانيةٌ، تَبدُوا على الجوارح والأركان.**[١]

١- وقد تكلمت عن هذا في آخر كتابي: «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة».

أقوال العلماء في منزلة حديث جبريل

وهذا الحديث رواه مسلم في «صحيحه»[١] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ورواه الشيخان في «صحيحيهما»[٢] واتفَّقا عليه من حديث أبي هريره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، غيرَ أنَّ اللفظ التام والأكمل لهذا الحديث مع قصة قبله إنما هو الذي رواه مسلم عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في «كتاب الإيمان» من أول «الصحيح».[٣]

وهذا الحديث طرق أخرى فيها فوائد، بعضُها مكمِّلٌ للحديث، وبعضُها مفسِّرٌ له، تتبَّعها وخرَّجها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في «فتح الباري»[٤].

وهذا الحديث عظيم الشأن، جليل القدر، توالت كلمات العلماء مِن شتَّى المذاهب في بيان منزلته، والتنويه بمكانته.

قال القاضي عياض المالكي رَحِمَهُٱللَّهُ[٥]: «وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم

١- (٨).

٢- البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

٣- انظر «شرح السنة» للبغوي (١/ ٩-١٠).

٤- (١/ ١١٦).

٥- «إكمال المعلم» (١/ ٢٠٤-٢٠٥).

الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه. على هذا الحديث وأقسامه الثلاث ألفنا كتابنا الذى سميناه بـ «**المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان**»[١]، إذ لا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاث». انتهى.

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**فيصلُحُ هذا الحديث أن يقالَ فيه: إنه أُمُّ السُّنَّة**، لما تضمَّنه مِن جُمَلِ عِلمِ السُّنَّة، كما سُمِّيَتِ الفاتحةُ: أُمَّ الكتاب، لما تضمَّنته مِن جملِ معاني القرآن». انتهى.

ولهذه النكتة استفتح البغوي بهذا الحديث كتابيه «المصابيح» و«شرح السنة» اقتداء بالقرآن في افتتاحه بالفاتحة لأنها تضمَّنت علوم القرآن إجمالا.[٣]

وقال الحافظ النووي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «واعلم أن هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم والمعارف والآداب واللطائف، **بل هو أصل الإسلام**». انتهى.

١- وكأنه لم يكمله رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر «الديباج المذهب» لابن فرحون (٢/ ٤٩).

٢- «المفهم» (١/ ١٥٢).

٣- قاله الطيبي في «شرح المشكاة» (٢/ ٤٣٦-٤٣٧). وانظر «فتح الباري» (١/ ١٢٥).

٤- «شرح مسلم» (١/ ١٦٠).

وقال عمر بن علي الفاكهاني المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وهو [حديث] متفَّقٌ على عِظَم مَوقعه وجلالته**، يَكادُ يكونُ مَدارُ الإسلام عليه، أو مَدارُ الإسلام عليه». انتهى.[٢]

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وهو حديثٌ عظيمٌ جداً، **يشتملُ على شرحِ الدِّين كُلِّه**». انتهى.

وقال[٤]: «فمن تأمَّل ما أشرنا إليه ممَّا دلَّ عليه هذا الحديثُ العظيم، عَلِم **أنَّ جميعَ العُلوم والمعارف ترجعُ إلى هذا الحديث وتدخل تحته**، وأنَّ جميع العلماء من فِرَقِ هذه الأمَّة لا تخرجُ علومهم التي يتكلَّمون فيها عن هذا الحديث، وما دلَّ عليه مجمَلاً ومفصَّلاً». انتهى.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «فهذا الحديث قد اشتمل على أصول الدين ومهماته وقواعده ويدخل فيه الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة، فجميع علوم

١- المتوفَّى بالإسكندرية سنة ٧٣٤ هـ. انظر ترجمته في «الديباج المذهب» (٢/ ٨٠)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٠٩)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٢٢١)، و«الأعلام» (٥/ ٥٦).

٢- «المنهج المبين في شرح الأربعين» (ص ٩٨)، ولهذا الكتاب مُختَصر نفيس ألَّفه صاحبه فيه زيادات وإفادات ليست في الأصل.

٣- «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٠).

٤- (١/ ١٣٧-١٣٨).

٥- «فتح الباري» (١/ ٢٢١-٢٢٢).

الشريعة ترجع إليه من أصول الإيمان والاعتقادات ومن شرائع الإسلام العملية بالقلوب والجوارح ومن علوم الإحسان ونفوذ البصائر في الملكوت». انتهى.

وقال الملا علي القاري الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وهذا حديث جليل، سمي حديث جبريل، وأم الأحاديث، وأم الجوامع**». انتهى.

من أحسن الشروح على حديث جبريل

ومِن أعظم شروحه شرح شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في كتابه «الإيمان الأوسط»، فإنَّ هذا الكتاب شرحٌ لـ«حديث جبريل»، ولكنه قد لا يصلُح للمبتدئين من طلاب العلم، لأنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بحرٌ، وهذا البحر قد لا يحسُنُ أن يخوضَهُ من لم يتعلَّم بعدُ مبادئ السباحة.

ولذلك، مَن أراد قراءةَ وإقراءَ شرحٍ ميسَّرٍ سهلِ اللَّفظ، متينِ العبارة، غزيرِ الفائدة، فعليه بشرح الشيخ المحدِّث عبد المحسن العباد -بارك الله في حياته-، فإنَّه قد شرح هذا الحديث العظيم في موطنين:

الموطن الأول: ضمن شرحه للأربعين النووية المسمى «فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمَّة الخمسين»، وهو شرح سهلُ التناوُل، جمُّ الفوائد.

١- «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٢٥).

والثاني: في شرحٍ مستقل سماه «شرح حديث جبريل في تعليم الدين»، يتفق مع ما في شرحه للأربعين في أغلب فقراته، غيرَ أنَّه في الشرح المستقل زاد فوائدَ كثيرةً سيَّما في أوَّلِهِ، وهو معروف ومنتشرٌ بين طلاب العلم، وقد تُرجِم إلى عدَّة لُغات.

وإسهامًا في تيسير العلم لنفسي ولمن شاء الله مِن عباده، كتبت هذا الشرح المتوسِّط[١]، وسمَّيته[٢]:

«**كأس السَّلسَبيل مِن فوائد «حديث جبريل»**».

والسَّلسَبيل: الشَّراب اللَّذيذ السَّلِسُ، فهو سهل الـمُرُور في الحَلق لعُذوبته، وهو كذلك اسم لعَينٍ في الجنَّة.[٣]

١- وللشيخ د. حمد العثمان شرح موسَّع على حديث جبريل يقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة، لم تتيسَّر الاستفادة منه في هذا الكتاب، وهو منشور على الشبكة.

٢- بإشارة من شيخنا صالح العصيمي بارك الله في علمه وعمله، وكان قد اقترَح: «**كأس السَّلسَبيل الـمُترَعة بفوائد «حديث جبريل»**»، والـمُتْرَعَة: الـمَمْلوءة، والـمُفْعَمَة.

ولكنَّني خفَّفته إلى العنوان المختار.

٣- انظر «مفردات الراغب» (ص ٤١٨-٤١٩)، و«المعجم الوسيط» (ص ٤٤٢).

و«سلبيلا»: يَنْحَلُّ في السمع إلى كلمتين: سل، سبيلا، أي اطلب طريقا، وسميت بذلك عين الجنة، لأنه لا يشرب منها إلا مَن سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح، ولهذا قال الله بعدها: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[الإنسان: ٢٩].

=

وعليه، فيكون المقصود بهذا العنوان: «**الكأس المليئة بالفوائد العَذبة السَّلِسة المستنبطة مِن حديث جبريل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وأصل هذه الرسالة درسان صوتيان ألقيتهما عبر شبكة الأنترنت أيام الحَجر الصِّحي المشدَّد، فكان المجلسُ الأول يومَ الأحد ١٨ شعبان ١٤٤١، الموافق لـ ١٢ أفريل ٢٠٢٠، والمجلسُ الثاني يومَ السبت ٢٤ شعبان ١٤٤١، الموافق لـ ١٨ أفريل ٢٠٢٠.[١]

ولما فُرِّغ الدرس، نظرت فيه، ثم استخَرت الله في تحريره وإخراجه مكتوبًا، فانشرح صدري لذلك، وبدأت -بعون الله- تحريرَه صباح الأحد ٠٣ صفر ١٤٤٢، الموافق لـ ٢٠ سبتمبر ٢٠٢٠، وأنهيته تحريرًا وتنسيقًا يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤٤٣، الموافق لـ ٢٨ ديسمبر ٢٠٢١.

=

وقد فسَّره بذلك بعض المفسرين، وذُكِر أنه جُعِل علَما لهذه العين مِن قبيل العلَم المنقول عن جملة مثل: تأبـَّط شرًّا.

قال الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٧٢): «وهو مع استقامته في العربية تكلُّف وابتداع»، واستغرب حكاية مثل هذا القول ابن حيَّان في «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦٥)، وقال: «ويجب طرحه من كتب التفسير». وانظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٣)، و«التحرير والتنوير» (٢٣/ ٣٩٦).

١- ومن أرد الاستماع للدرسين، فمِن هنا:



وجعلته على شكل مسائلَ، متأسيًّا في ذلك بجبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي جاء سائلاً عن أهمِّ المهمَّات، فكان جوابُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له جامِعًا لأصول الديانة، إسلامًا وإيمانًا وإحسانا.

وختامًا، أتقدَّم بالشكر -بعد الله تعالى- إلى الشيخين الفاضلين: الشيخ د. محمد هشام الطاهري، والشيخ د. فوزي عثمان صالح -حفظهما الله تعالى-، حيث تفضلا بمراجعة الكتاب والتقديم له، شكر الله سعيَهما، وأجزَل الله لهما الأجرَ والثواب.

هذا، واللهَ سبحانه أسألُ أنْ يخلِصَ نيَّتي، ويحسِنَ طَوِيَّتي، فإنَّما الأعمالُ بالنِّيات، وإنَّ الحسنات يذهبن السيِّئات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، ولله سبحانه ما بقي وما مضى.[١]

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد وآلِه وصحبه في الآخرة والأولى.

وكتب: الصغيِّـر بن عمَّـار

عصر الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٤٣،

الموافق لـ ٣٠ ديسمبر ٢٠٢١، بمدينة «ليون» بفرنسا

١- انظر «الإذاعة» لصديق حسن خان رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٢١).

متن «حديث جبريل»

عن عُمَرَ بنِ الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بَيْنَما نحْنُ عِندَ رسُولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذاتَ يوم، إذْ طَلَعَ علينا رَجُلٌ شديدُ بياضِ الثِّياب، شديدُ سَوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَر، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَد، حتَّى جَلَسَ إلى النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأسْنَدَ رُكْبتيه إلى رُكْبتيه، ووَضَعَ كَفَّيْه على فَخِذَيه، وقال:

يا مُحَمَّدُ أخْبِرنِي عن الإسلام، فقال رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلا**».

قال: صَدَقْتَ، قال: فعَجِبْنا له يَسألُهُ، ويُصَدِّقُهُ.

قال: فأخْبِرنِي عن الإيمان، قال: «**أنْ تُؤمِنَ بِالله، وملائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِر، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**»، قال: صَدَقْتَ.

قال: فأخْبِرنِي عن الإحسان، قال: «**أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّك تَراه، فإنْ لم تكُنْ تَراه فإنَّه يَراك**».

قال: فأخْبِرْنِي عن السَّاعة، قال: «**ما الـمَسئُولُ عنها بأعْلَمَ منَ السَّائِل**».

قال: فأخْبِرْنِي عن أمَارَتِها، قال: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُونَ في البُنيان**».

قال: ثُمَّ انطلَقَ فلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قال لي: «**يا عُمَرُ أتَدْري مَن السَّائِلُ؟**» قلتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ، قال: «**فإِنَّهُ جِبريلُ أتاكُم يُعَلِّمُكُم دينَكم**».[1]

١- رواه مسلم (٨).

شرح الحديث

ولنبدأ بعون الله شرحَ هذا الحديث، من خلال عدَّة مسائل:

هيئة السائل هيئة غريب

المسألة الأولى: قوله: «**بَيْنَما نحنُ عِندَ رسُولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**» يفيدنا بأنَّ الصحابةَ كانوا يمكثون ويجلسون عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعلمون منه حتى قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة-، **وكنا نتناوب النزول على رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **ينزل يوما وأنزل يوما**، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك».[١]

وكلُّ هذا حتى لا يفوتَ عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومٌ واحد من حياةِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلك الحياةُ التي كلُّ يومٍ مِن أيامِها فيه العلمُ، والعملُ، والأخلاقُ، والبرُّ، والتقوى، ولهذا جعله اللهُ لنا مثالًا أعلى، وقدوةً حُسنى، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾[النور: ٥٤].

المسألة الثانية: قوله: «**إذْ طَلَعَ علينا رَجُلٌ**»، ثم وصفه بقوله: «**شديدُ**

١- رواه البخاري (٨٩).

بياضِ الثِّياب، شديدُ سَوادِ الشَّعر»، يدلُّ على تميُّزٍ ظاهر بين الناس، لأنَّ البياضَ إذا كان مع سواد سَهُلت ملاحظتُه، كما يدلُّ أيضًا على أنَّه شابٌّ.

وبوصفه لثياب السائل بشدةِ البياض علمنا أنَّها نقيَّةٌ جداً، لا شِيَةَ فيها، ثم أكَّد هذا بقوله: «**لا يُرى عليه أثَرُ السَّفَر**»، فدَلَّ هذا على أنَّ الرجلَ لا يظهَرُ عليه التَّعب، ولا الشَّعث والغَبر الذي يكون على المسافِر.

قال الحافظ ابن الملقِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في قوله: «**شديد بياضِ الثِّياب**» إلى آخِره، إشارَةٌ إلى غَرابةِ هذه القِصَّة، لأنَّ الرَّجُل هيئتُه هيئةُ حاضِرٍ لا يَخْفى عليه أمرُ الدِّين مع اشْتِهارِه غالِبًا خُصوصًا في المدينة، وسُؤالُه سؤالُ أعرابيٍّ وارِدٍ غيرِ عالِـمٍ بالدِّين، وهذا بخِلاف حديث طَلْحَة: «**جَاءَ أعْرابيٌّ مِن أهلِ نَجْدٍ، ثائرُ الرَّأس**» الحديث[2]، إذ وصَفَهُ بصفةِ الأعرابِ الوارِدِين، فلم يكُن في سُؤالِه غَرابَةٌ ولا عَجَب». انتهى.

١- «المعين على تفهُّم الأربعين» (ص ١٢٣).

٢- رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

استحباب التجمُّل للعالِم والمتعلِّم

المسألة الثالثة: يُستفادُ مِن خِلال الهيئة التي جاء بها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ **اسْتِحبابُ التَّجَمُّل وتَحسينُ الهَيئَة للعالِمِ والمُتعَلِّم،** فإنَّ جبريلَ مُعَلِّم مِن جِهةٍ[1]، لقوله: «يُعَلِّمُكم»، ومُتَعَلِّم من أُخرى، مِن كوْنه جاءَ في صُورَةِ سائلٍ.[2]

وفي رواية النَّسائي[3] عن أبي هريرة وأبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«وإنَّا لـجُلُوسٌ ورَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في مَجلِسِه، إذْ أقبَلَ رَجُلٌ أحْسَنُ النَّاسِ وَجهًا، وأطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا، كأَنَّ ثيابَهُ لم يَمَسَّهَا دَنَسٌ»**.[4]

ولهذا ذكر العلماء الذين صنَّفوا في آداب العالِـم والمتعلِّم[5] أنَّه **ينبغي لمَن عزَم على مجلِس التدريس التطهُّر من الحدَث والخبَث، والتنظُّف، والتطيُّب، ولُبس أحسن الثياب،** قاصِدًا بذلك تعظيمَ العِلم وتبْجيلَ الشريعة.

١- وسيأتي الكلام على ذلك في آخر هذا الشرح -إن شاء الله تعالى-.

٢- انظر «المعين على تفهُّم الأربعين» (ص ١٢٣).

٣- (٤٩٩١).

٤- انظر «الفتح المبين بشرح الأربعين» لابن حجر الهيتمي (ص ١٤١-١٤٢).

٥- انظر على سبيل المثال: «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٢١٧، وما بعدها)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٧٢، وما بعدها)، و«أدب الاملاء والاستملاء» للسمعاني (ص ٢٥، ١١٣)، و«تذكرة السامع والمتكلِّم في أدب العالم والمتعلِّم» لابن جماعة (ص ٦١، ١٠٢).

قال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**ينبغي للمُحَدِّث أنْ يكونَ في حالِ روايتِه على أكمَلِ هيئَـتِه، وأفضَلِ زينَـتِه، ويتعاهدَ نفسَه قبل ذلك بإصلاحِ أمورِه التي تجَمِّلُه عند الحاضِرين مِن الموافقين والمخالفين**». انتهى.

وفي الحديث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمال**».[٢]

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**ينبغي للمُحَدِّث أنْ يُصلِح هَيئَـتَه، ويأخُذَ لرواية الحديثِ أُهْبَـتَه**». انتهى.

وقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جاءه النَّاسُ لطلَب الحديثِ اغتسَل وتطيَّب، ولبِس ثيابًا جُدُدًا، ووَضع رداءَه على رأسه، ثمَّ يجلِسُ على مِنَصَّة، ولا يزالُ يُبَخِّر بالعُود حتَّى يفرَغ، وكان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أحِبُّ أنْ أعَظِّمَ حديثَ رسولِ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».[٤]

١- «الجامع» (١/ ٣٧٢).

٢- رواه مسلم (٩١).

٣- «أدب الاملاء والاستملاء» (ص ٢٥).

٤- انظر «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٢١٩)، و«المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (ص ٣٩٢)، و«ترتيب المدارك» (٢/ ١٥)، و«تذكرة السامع والمتكلِّم» (ص ٦١)، و«تدريب الراوي» للسيوطي (٢/ ٥٧٢). وانظر للفائدة كلام السخاوي على هذا في «فتح المغيث» (٣/ ٢٢٢).

قال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وقد شُرِعَ للعالِـم** -ممَّن يجتمع إليه النَّاسُ ويرِدُون عليه- **التجَمُّلُ بالـمَلبَس، دون أنْ يخرُجَ عن عادة مِثلِه**». انتهى.

ولأجل هٰذا كان عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «**إنِّي لَأُحِبُّ أنْ أنْظُرَ إلى القَارِئِ أَبْيَضَ الثِّياب**»، كما رواه عنه مالك في «موطئه» بلاغا[٢]، لما في ذلك مِن تعظيم العِلم وإجلاله.

وكذلك، **على طالب العلم أن يتأدَّبَ في حُضَور الدَّرسِ بأنْ يحضُرَه على أحسنِ الهَيئات، وأكمَلِ الطَّهارات.**[٣]

ولا ينفعُ جمالٌ في الظاهر لم يصحَبه صِدقٌ ونيَّةٌ في الباطن، وأحسَن الشاعر في قوله[٤]:

فَرَثَـــاثُ ثَوْبِــكَ لَا يَزِيــدُكَ زُلْفَــةً
عِنْــدَ الإِلَــهِ وأَنْــتَ عَبْــدٌ مُجْــرِمُ
وبَهَــاءُ ثَوْبِــكَ لَا يَضُــرُّكَ بَعْــدَ أَنْ
تَخْشَــى الإِلَــهَ وتَتَّقِــي مَــا يَحْــرُمُ

١- انظر «المنتقى شرح الموطأ» (٧/ ٢١٩-٢٢٠).

٢- «الموطأ» (٢/ ٩١١).

٣- انظر تعليق شيخنا صالح العصيمي على «تذكرة السامع والمتكلِّم»، فقد مُلِئ عِلمًا.

٤- رواه الخطيب البغدادي في «الجامع» (١/ ٣٨٢) عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لماذا جزم عمر بأنه لا يعرفه منهم أحد؟

المسألة الرابعة: قوله بعدها: «**ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَد**»: دلَّ على أنَّه رجل غريب، ليس من المدينة، ولا هو مِن مكة من القوم الذين يعرفونهم، بل هو رجلٌ عابر.

فإن قيل: كيف عرَف عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **أنه لم يعرفه أحد من الصحابة؟**

والجواب أنَّ ذلك يحتمل أحد أمرين:

- **الأول:** أن يكون استند في ذلك إلى ظنه.
- **والثاني:** أنَّ الحاضرين صرَّحوا بذلك.

ورجَّح الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ[1] القول الثاني، مستنِدًا إلى رواية عثمان بن غياث عن عبدِ الله بنِ بُرَيْدَةَ[2]، وفيها: «**فنَظَرَ القَوْمُ بعضُهم إلى بعض: ما نَعرِفُ هذا**».

ثم قال: «**حتَّى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، ثم فعل فعلةً استغربها الصحابة، «**فأسْنَدَ رُكْبتيه إلى رُكْبتيه**» أي حاذت ركبتا الرجل ركبتي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، «**ووَضَعَ كَفَّيْه على فَخِذَيه**».

١- «فتح الباري» (١/ ١١٦-١١٧).

٢- عند أحمد في «المسند» (١٨٤).

معنى قوله «وَضَعَ كَفَّيْه على فَخِذَيه» وأوجه التَّعمية في هذه القصة

المسألة الخامسة: اختلف أهل العلم في الضمير في قوله: «**فَخِذَيه**» على قولين[١]:

الأول: أنَّه يعود على الرجل السائل وهو جبريل، وبه جزم النووي ووافقه التوربشتي، معلِّلًا ذلك بأنَّه المناسب لهيئة المتعلِّم بين يدي معلِّمه.

والثاني: أنَّه عائد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبه جزم البغوي، ورجَّحه الطيبي، واختاره ابن حجر، وقد جاء التصريح بهذا في رواية أخرى فيها: «**حتَّى وَضَعَ يَدَهُ على ركبتَي رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

المسألة السادسة: وضع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يديه على فخذي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه المبالغة في تعمية أمره ليقوي الظن بأنه من جفاة الأعراب.

ومن أوجه التعمية في هذه القصة أيضًا:

- بداءته بالسؤال قبل السلام.[٣]
- وقوله: «**يا مُحَمَّدُ**» بدل: يا رسول الله.

١- انظر «فتح الباري» (١/ ١١٦).

٢- كما في «مسند أحمد» (٢٩٢٤)، و«سنن النسائي» (٤٩٩١).

٣- وجاء في رواية -كما عند النسائي» (٤٩٩١) وأبي داود (٤٦٩٨)- أنَّه قال: «السلام عليك يا محمد»، فردَّ عليه السلام، قال: «أدنو يا محمد؟»، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْنُ**». انظر «فتح الباري» (١/ ١١٧).

كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبرُز مِن بين أصحابه

المسألة السابعة: جاء في رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحديث[١] أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بارِزًا يومًا للناس، فأتاه رجل، فقال: «ما الإيمان؟»، الحديث.

ومعنى «**بارِزًا**»: أي ظاهِرًا لهم، غيرَ محتجِب عنهم، ولا مُلتَبِسٍ بغيره.

وقد وقع في رواية أخرى[٢] بيانُ ذلك، فعن أبي زُرعةَ بنِ عمرو بنِ جرير عن أبي ذر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: «كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجلِسُ بين ظهري أصحابه، **فيجيءُ الغريبُ، فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل،** فطلَبْنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نجعلَ له مجلِساً يعرفُه الغريبُ إذا أتاه»، قال الراوي: «**فبنَيْنا له دُكَّانًا من طينٍ، فجلسَ عليه، وكنَّا نَجلِسُ بجَنبَتيه**».

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]: «وفيه: **جوازُ اختصاصِ العالم بموضعٍ مرتفِعٍ من المسجد،** إذا دَعَت إلى ذلك ضرورةُ تعليمٍ أو غيرِه». انتهى.

١- في «صحيح مسلم» (٩).

٢- في «سنن أبي داود» (٤٦٩٨). وانظر «إكمال المعلم» (١/ ٢١٣)، و«فتح الباري» (١/ ١١٦)، و«عمدة القاري» (١/ ٢٨٤).

٣- «المفهم» (١/ ١٣٩).

حقيقة الإسلام

قال السائل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخْبِرنِي عن الإسلام**».

هذا سؤال عظيمٌ جليل القدر، ولهذا كان شرحُ وبيانُ ما في هذا الحديث من معانٍ جليلةٍ وقواعدَ عظيمةٍ من أهمِّ ما يكونُ نُصحاً للمسلمين وبثًّا للخير فيهم.

فبيَّنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الإسلامَ الذي سأله عنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلا**».

والكلام على الإسلام وأركانه سيكون في مسائل:

الإسلام: لغة

المسألة الأولى: الإسلام لغة: هو الانقياد والإذعان[١]، قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[الزمر: ٥٤]، وقال: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ

١- انظر «تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٣١٢-٣١٣)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٩٠)، و«لسان العرب» (١٢/ ٢٩٣).

بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[النمل: ٨١]، أي: منقادون للحقِّ مذعنون له.[١]

المسألة الثانية: يُطلَق الإسلامُ في نصوص الكتاب والسنة على أحد أمرين:[٢]

- **الأمر الأول: الإسلام الكوني**، ويُسمَّى الإسلام القدَري.
- **والأمر الثاني: الإسلام الشرعي**، وهو أيضا نوعان:
  - **النوع الأول: الإسلام العام**، الذي بعث اللهُ به جميع الأنبياء
  - **والثاني: الإسلام الخاص**، الذي بُعِث به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه الأمة، وهو بنفسه ينقسم –باعتبار قيام المكلَّف به– إلى نوعين:
    - ✓ **الأول: الإسلام الحُكمي**، الذي تترتَّب عليه الأحكام الدنيوية فقط.
    - ✓ **والثاني: الإسلام الحقيقي**، الذي ترتَّب عليه الأحكام الدنيوية والأخروية.

وسنفصِّل هذا كلَّه في المسائل التالية –إن شاء الله تعالى–.

١- انظر «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ٤٢٣).

٢- انظر «موسوعة العقيدة» لجماعة من الباحثين (١/ ٢٢٠-٢٣٢).

الإسلام الكوني: لا فرق فيه بين الكافر والمؤمن

المسألة الثالثة: الإسلام الكوني لا يخرج عنه أحدٌ من المخلوقين، إذ الكل مستلِمٌ لله كَرهًا، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران: ٨٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فالمؤمنُ مستسلِمٌ بقلبه وقالَبِه لله، **والكافرُ مستسلِمٌ لله كَرْها، فإنَّه تحت التَّسخير والقَهر والسلطان العظيم**، الذي لا يُخالَف ولا يُمانَع». انتهى.

والعُبوديَّةُ كذلك نوعان: [٢]

- **كونيَّةٌ اضطراريَّة**، وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحدٌ لقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[مريم: ٩٣]، فهي شاملة للمؤمن والكافر، والبَرِّ والفاجر، ولا يُحمَدُ عليها الإنسانُ لأنها بغير فعله.

١- «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٦٩). وانظر «تفسير السعدي» (ص ١٣٧).

٢- «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين (ص ٣٩)، بتصرف. وانظر «شذا العبير بشرح قصيدة أنا الفقير»، للمؤلف -عفا الله عنه-.

▪ **وشرعية اختيارية،** وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي، وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان: ٦٣]، وهي التي امتدحَ اللهُ بها نبيَّه في أشرف المقامات وأزكى الحالات.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وبالفرق بين هذين النوعين يُعرف الفرق بين** «**الحقائق الدينية**» الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعي، **وبين** «**الحقائق الكونية**» التي يشترك فيها المؤمنُ والكافرُ والبَرُّ والفاجرُ التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين والكافرين برب العالمين». انتهى.



١- «الفتاوى» (١٠/ ١٥٨)، باختصار.

الإسلام الشرعي العام: دين جميع الأنبياء

المسألة الرابعة: إنَّ الله تعالى أرسل الرُّسل وأنزل الكتب، ليكونَ الناسُ مسلمين لله شرعًا، كما هم مستسلمون له كونًا.

وإلى هذا أشار الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله[١]: «**المقصد الشرعيُّ من وَضع الشريعة: إخراجُ المكلَّف عن داعية هواه، حتى يكونَ عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا**». انتهى.

المسألة الخامسة: الأنبياءُ جميعًا وأتباعُهم كانوا مسلمين باعتبار الإسلام الشرعي العام الذي هو: **الاستلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**.[٢]

قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «والإسلام إنَّما هو الطاعة لله، والانقياد لأمره». انتهى.

والإسلام العام: هو مِلَّة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والحنِيَّفة التي بعَث اللهُ بها أنبياءَه، وهدى إليها أولياءَه.

١- «الموافقات» (٢/ ٢٨٩). وله نحوه في «الاعتصام» (٣/ ٣٠٨).

٢- انظر مثلا «الفتاوى» (٣/ ٩١) (٥/ ٢٣٩) (٧/ ١٥٧) (٧/ ٢٦٣) (٧/ ٦٢٣) (٢٨/ ١٧٤).

٣- «غريب الحديث» (٢/ ٤١١).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) في قوله تعالى: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي: «واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي». انتهى.

وعليه، فلا يدخل أحدٌ الجنة -من أي أمة كانت- إلا إذا جاء به، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «وأما الكتب السماوية المتواترة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فناطقة **بأن الله لا يقبل من أحد دينا سوى الحنيفية، وهي الإسلام العام**: عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر». انتهى.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «**والإسلام دين الرسل كلِّهم، أوَّلُهم وآخرُهم كلُّهم بُعِثوا بالإسلام**». انتهى.

ومن تأمل القرآن وجد آيات كثيرة تقرر هذا الأصل، قال جل وعلا عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢]، وقال جلَّ

١- «جامع البيان» (٢١/ ٣١٢).

٢- «الفتاوى الكبرى» (١/ ٧٣).

٣- نفس المصدر (٢/ ٤٤٩).

شأنُه: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠]، أي أن السفيه الجاهل هو الذي لا يكون على دين الإسلام الحنيف، لأن الإسلام هو الرَّشاد، وضده هو السَّفَه والضلال والفساد.

وهذه هي الصبغة المذكورة في قوله جل وعلا: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةً وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨]، فالمقصود بها هنا صِبغةُ التوحيد والإسلام، لأنَّ المتديِّن يلزمُه ولا يفارقُه كالصِّبغ يلزم الثَّوب، على أحد الأقوال.[١]

ولهذا قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾[النحل: ٥٢]، أي: دائما، فعلى الإنسان أنْ يطيعه دائمًا في جميع أحواله، كما وصَف به الملائكة حيث قال: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].[٢]

فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، **فمَن استسلَم له ولغيره كان مشرِكًا، ومَن لم يستسلِم له كان مستكبِرًا عن عبادته**، والمشركُ به والمستكبرُ عن عبادته كافرٌ، والاستسلام له وحدَه يتضمَّن عبادتَه وحدَه، وطاعتَه وحدَه، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبَل اللهُ غيرَه.

١- انظر «تفسير البغوي» (١/ ١٧٣).

٢- «مفردات القرآن للراغب» (ص ٨٧٢).

اتفاق الأنبياء على التوحيد واختلافهم في الشرائع

المسألة السادسة: جميع الأنبياء عليهم السلام، يتفقون في الأصول الكبرى وأساسها العقيدة والتوحيد، وأما تفاصيل الشرائع فيختلفون فيها، ودليله في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، أي: سُنةً وسبيلًا، إذ ليس مراد الله تعالى مجردَ قرع الأسماع بعبارات التشريع أو التذوق لدقائق تراكيبه، بل مراد الله تعالى مما شرع للناس هو عملُهم بتعاليم رسُله وكتبه، **ولما كان المرادُ من ذلك هو العمل، جعل الله الشرائع مناسبةً لقابليات المخاطَبين بها، وجاريةً على قدْر قبول عقولهم ومقدرتهم، ليتمكنوا من العمل بها بدوام وانتظام.**[١]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[٢] في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، **باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد**، كما ثبت في «صحيح البخاري»[٣]، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

١- انظر «التحرير والتنوير» (٣/ ١٩٠-١٩١).

٢- «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٢٩)، بتصرف يسير.

٣- (٣٤٤٣)، ولفظه فيه: «الأنبياءُ إخوَةٌ لعَلَّاتٍ، أُمَّهاتُهُم شَتَّى، ودِينُهُم واحِدٌ»، وهو أيضا في «صحيح مسلم» (٢٣٦٥).

قال: «**نَحْنُ معَاشِرَ الأنبياءِ إخْوَةٌ لعَلَّاتٍ، دينُنا واحِدٌ**»، يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمَّنه كلَّ كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦]، **وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى**، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة». انتهى.

وقال ابن جُزَي الغرناطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**فأما أصول الدين** من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، **فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف**». انتهى.

ساق هذا المعنى الإمام ابن القيم في «النونية»[2] بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالرُّسْـــلُ متَّفِقُـــونَ قَطْعًـــا في أُصـــو
لِ الـــدِّينِ دونَ شـــرائعِ الإيمـــانِ

١- «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ٢٦٨). وانظر «التحرير والتنوير» (٢٥/ ٥٠).

٢- (ص ٨٥).

كُـــــلٌّ لـــــه شَـــــرعٌ ومِنهـــــاجٌ وذا
في الأمـــــرِ لا التوحيـــــدِ فـــــافهَمْ ذانِ

فالـــــدِّينُ في التوحيـــــدِ ديـــــنٌ واحـــــدٌ
لـــــم يختَلِـــــفْ مـــــنهمْ عليـــــه اثنـــــانِ

ديـــــنُ الإلـــــهِ اختـــــارَهُ لعِبـــــادهِ
ولنفسِـــــهِ هـــــو قـــــيِّمُ الأديـــــانِ



هل نسمِّي مَن قبلَنا مسلمين؟

المسألة السابعة: اختلف أهلُ العلم قديما في حكم تسمية غيرِنا من الملل السابقة مسلمين، حتى ألَّف فيها جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة بعنوان: «**إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة**».

وظاهر النصوص -وقد مرَّ بعضُها- أنَّ مَن قبلَنا يُسمَّونَ مسلمين بالاعتبار العام، وإنْ كانوا أصحاب شرائعَ مختلفة بالاعتبار الخاص.

وبذلك أخبرنا اللهُ عن الأنبياء المتقدِّمين وأُمَـمِهم، قال نوح: ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[يونس: ٧٢]، ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾[يونس: ٨٤]، وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾[المائدة: ٤٤]، **وقالت بلقيس**: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[النمل: ٤٤]، **وقال في الحواريين**: ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾[المائدة: ١١١].(١)

١- انظر «الفتاوى الكبرى» (١/ ٧٣)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٩٤).

الإسلام الشرعي الخاص: دين النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المسألة الثامنة: الإسلام الشرعي الخاص هو ما بُعِث به النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسُمِّي بذلك لاختصاصه به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمَّتُه تَبَعٌ له، وهو الذي عرَّفه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث جبريل بذكر أركانه الخمسة.

وفي «الصحيحين»[١] عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والحجِّ، وصومِ رمضان»**.

وعليه، يُعرَّف الإسلامُ الخاصُّ بأنه: **«الاستلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة على وفق ما جاء في الوحي المنزَّل على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والبراءة من الشرك وأهله»**.

١- البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

الإسلام الخاص: حُكمي وحقيقي

المسألة التاسعة: ينقسم الإسلامُ الخاصُّ -باعتبار قيام المكلَّف به- إلى: إسلام حكمي، وإسلام حقيقي.[1]

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**الإسلامُ في الشَّرع على ضربين:**

أحدهما: هو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدَّم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل.

والثاني: هو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدَّر». انتهى.

وعليه، **فالإسلام الحُكمي استسلام لله في الظاهر**، وهو الذي تترتَّب عليه الأحكام الدنيوية فقط، ويكون لمن أتى بالشهادتين -كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى[3]-، أو بشعيرة من شعائر الإسلام الخاصة كالصلاة -على الوجه الذي يصلي به المسلمون-، سواء كان صادقا أو كاذبا.

١- انظر «فتح الباري» لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٢٥).

٢- «المفردات في غريب القرآن» (ص ٤٢٣)، باختصار.

٣- عند الكلام على شهادة التوحيد، وما فيها من عصمة الحال والمآل.

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة: ٥]، وفي «الصحيحين»[١] عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أُمِرْتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتى يشهَدوا أن لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعَلوا ذلك عَصَموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهم على الله**».

ومعنى هذا أنَّ **الشهادتين مع إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة تَعصِمُ دمَ صاحبِها ومالَه في الدنيا إلا أنْ يأتيَ ما يُبيحُ دَمَهُ**، وأما في الآخرة، فحِسابُه على الله عَزَّوَجَلَّ، فإنْ كان صادقاً، أدخله اللهُ بذلك الجنة، **وإنْ كان كاذباً فإنَّه من جُملة المنافقين في الدَّرْك الأسفل من النار**.[٢]

وأمَّا **الإسلام الحقيقي، فهو استسلام لله في الظاهر والباطن**، تترتَّب عليه الأحكام الدنيوية والأخروية، ولا يكون إلا لمن كان صادقًا مع الله في إسلامه.

قال الإمام الأزهري رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «الإسلام: إظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وبه يحقن الدم، **فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد**

١- البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

٢- انظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٤٨).

٣- «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣١٣).

وتصديق بالقلب فذاك الإيمان الذي هذه صفته، فأما مَن أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غيرُ مصدِّق.

فالمؤمن مبطِنٌ مِن التصديق مثلَ ما يظهِر، والمسلم التام الإسلام مظهِرٌ الطاعة مؤمنٌ بها، والمؤمن الذي أظهر الإسلام تعوُّذًا غيرُ مؤمن في الحقيقة، إلَّا أنَّ حُكمَه في الظاهر حكمُ المسلمين.

فمن صدَّق بقلبه ما أظهره لسانُه فقد أدَّى الأمانة، واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، **ومن كان قلبُه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمَل وِزرَ الخيانة**، والله حسيبه». انتهى.



تخصيص هذه الأركان بكونها أركانا للإسلام دون غيرها

المسألة العاشرة: اختلفت أقوال أهل العلم في بيان الحكمة في تخصيص هذه العبادات الخمس بكونها أركانا للإسلام.(١)

فقيل: إنها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيام العبد بها يتم إسلامُه، وتركُه لها يُشعِر بانحلال قَيْد انقياده.(٢)

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقًا، الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كل من كان قادرًا عليه ليعبد الله بها مخلصًا له الدين. **وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك فإنما يجب بأسباب لمصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس**، بل:

- **إما أن يكون فرضاً على الكفاية:** كالجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفتيا، وإقراء، وتحديث، وغير ذلك.

- **وإما أن يجب بسبب حق للآدميين يختص به من وجب له وعليه**، وقد يسقط بإسقاطه، مثل قضاء الديون، والإنصاف من المظالم، وهذه

١- انظر «موسوعة العقيدة» (١/ ٢٣٠-٢٣١).

٢- انظر «الإيمان» (ص ٢٤٥).

يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى، بخلاف الخمسة فإنها من خصائص المسلمين.

وكذلك ما يجب من صلة الأرحام، وحقوق الزوجة، والأولاد والجيران والشركاء، والفقراء، كل ذلك يجب بأسباب عارضة على بعض الناس دون بعض لجلب منافع ودفع مضار، لو حصلت بدون فعل الإنسان لم تجب، **فما كان مشتركاً فهو واجب على الكفاية، وما كان مختصاً فإنما يجب على زيد دون عمرو، لا يشترك الناس في وجوب عمل بعينه على كل أحد قادر سوى الخمس**.[1]

وجه عدم ذكر الجهاد في أركان الإسلام

المسألة الحادية عشرة: وهي متفرِّعة عن المسألة التي قبلها، وهي: **لماذا لم يُذكَر الجهاد في أركان الإسلام؟**

من المعلوم أنَّ الجهاد ذروة سنام الإسلام، أي: أعلى شيء فيه، ولكنه ليس مِن دعائمه وأركانه التي يُبنى عليها، **وذلك لوجهين:**[2]

- **أحدهما:** أنَّ الجهادَ فرضُ كفاية عند جمهور العلماء، ليس بفرضٍ عينٍ، بخلاف هذه الأركان.

١- انظر نفس المصدر (ص ٢٤٥-٢٤٦).

٢- «جامع العلوم» (١/ ١٥٥).

- **والثاني**: أنَّ الجهاد لا يَستمِرُّ فعلُه إلى آخر الدَّهر، بل إذا نزل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يبقَ حينئذٍ ملة إلَّا مِلَّة الإسلام، فحينئذٍ تضعُ الحربُ أوزارَها، ويُستغنى عن الجهاد، بخلاف هذه الأركان، فإنَّها واجبةٌ على المؤمنين إلى أن يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك، والله أعلم.

قلت: **وقد يُضاف إلى ذلك وجه آخر، وهو أنَّ الجهاد في الإسلام مُرادٌ لغيره، لا لذاته، بخلاف أركان الإسلام الخمسة التي قصدها الشارع لذاتها.**

فإنَّ الجهاد شُرِع لرفع أو دفع كلِّ ما يحُول دون بلوغ دين الله إلى الناس، ولهذا كان دفع الجِزيةِ -بعد الدعوة إلى الإسلام- مُقَدَّمًا على القتال، مع بقاء المحارِب على كفره، وتفاصيل هذا معلومة فيما دوَّنه المحدِّثون والفقهاء، جزاهم الله خيرًا.



من فوائد نعمة الإسلام

المسألة الثانية عشرة: لا نعمةَ في الدنيا تَعدِل نعمةَ الإسلام التي منَّ اللهُ بها -بفضله- على عباده، **ومِن فوائد تلك النِّعمة:**[١]

- عصمة المال والدَّم والعرض.
- إخراج العِباد من عبادة العِباد إلى عبادة الله وحده.
- تحقيق العدالة الاجتماعيَّة والرَّحمة والمساواة.
- القضاء على النُّظم الوضعيَّة والمناهج الإلحاديَّة.
- حِفظ كرامة الإنسان وحقوقِه ومكتسباتِه.
- حُصول هداية القلب.
- الفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار.
- حُصول الأُلفة والمحبَّة والتَّآخي بين النَّاس.
- تحقيق العِزَّة والسَّعادة في الدَّارين.
- إخراجُ النَّاس من الظُّلُمات إلى النُّور فيعزُّ النَّاس بالذُّلِّ والخضوع إلى الله سبحانه، فيَحصُلون على شَرَف العبوديَّة له، ويتخلَّصون مِن ذُلِّ العبوديَّة لغيره.

١- «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٢/ ٣٤٨)، بتصرف، واستفدت أصل النقل من «موسوعة العقيدة» (١/ ٢٣٢).

- تحقيق كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.
- تحقيق الأمان في المجتمع، فيعيش كلُّ فَرْد آمِنًا مِن أذى أخيه قولًا وفعلًا.
- تحقيق التَّكافُل بين النَّاس، فيأخذُ غنيُّهم بيَدِ فقيرِهم، وقويُّهم بيَدِ ضعيفِهم ويصبح الجميعُ إخوَةً متحابِّين في جلال الله.
- التحلِّي بالتَّواضع في ثوب العِزَّة.

الركن الأول: شهادة التوحيد

بدأ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعريف الإسلام الخاص بذكر أول أركانه وهو شهادة التوحيد، فقال: «**الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَـهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»، والتي لا يدخلُ الجنَّـةَ أحدٌ مِن هذه الأمَّة إلا بها.

والكلام على شهادة التوحيد في مسائل:

معنى كلمة الشهادة

المسألة الأولى: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ**»، من الشهادة، وهي أن تقِرَّ بقلبك وتعترِفَ بلسانك، بأنه «**لا إلَـهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**».

والشهادة أبلَغُ من العلم، إذْ كلُّ شهادةٍ علمٌ، وليس كلُّ علمٍ شهادةً.(١)

معنى شهادة «لا إلَـهَ إلَّا الله»

المسألة الثانية: معنى: «**لا إلَـهَ إلَّا الله**»: لا مَعبودَ حقٌّ إلا الله، أي أنه لا تحِقُّ العبادةُ إلا لله وحدَه، لا شريك له في عبادته، كما أنَّه لا شريك له في مُلكه وجبروته وقدرته وعزَّته، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكن هذه الشهادة لا تتمُ إلا بالإقرار والاعتراف لرسوله المبعوث رحمة

١- «المنهج المبين في شرح الأربعين» للفاكهاني المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٣٤).

للعالمين بأنه رسول الله، أي أنه مُرسَلٌ من عند الله، ليس كاذِبًا في دعواه، ولا مُـكَذَّبا فيما أتاه الله، فهو صادِق مصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معنى شهادة «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله»

المسألة الثالثة: شهادة «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، تعني الإقرار بأنَّ هذا النبيَّ العربيَّ القُرَشيَّ الهاشِميَّ محمدَ بنَ عبد الله قد أرسله الله بالحق إلى جميع الخلق ، الإنس والجن، وأنَّه خاتَم الأنبياء، وإمام الأتقياء.

فلم يُبعَث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً، أو ليخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان، وإنما أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، إنما أرسل ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ويخرج الناس جميعاً من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.[١]

١- انظر «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» (ص ٨٠).

مقتضيات شهادة «أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله»

المسألة الرابعة: شهادة «**أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» تقتضي منك أمورا:

- أن تصدقه فيما أخبَر،
- أن تطيعه فيما أمَر،
- أن تجتنب ما عنه نهى وزجَر،
- ألا تعبد الله إلا بما شرَع، أي بما جاء على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الكتاب والسنة.

فمن لم يلتزم بمقتضى هذه الكلمة فليست شهادتُه شهادةً صحيحةً.



شهادة التوحيد مفتاح الجنة، ولا بد للمفتاح من أسنان

المسألة الخامسة: شهادة «أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» **لا يُقبَلُ إسلامُ أحدٍ إلا بالتلَفُّظِ بها بالإجماع**[1]، فإذا كان الرَّجُل أخرَسَ وتعَذَّر عليه الكلام، فهذا يُـكتَفى منه بالإشارة.

وشهادة التوحيد مفتاح الجنة، وهذا المفتاح لا يمكن أن يُفتح لك إلا بأسنان، والأسنانُ هي الطاعات.

وفي هذا يقول ابن القيم في «النونية»[2]:

هــــذا، وفَــتْحُ البــابِ لــيسَ بمُمْكِـــنٍ
إلَّا بِمِفتــــــاحٍ علـــــى أَســــــنانِ
مِفتاحُــــهُ بِشـــهادةِ الإخــــلاصِ والتَّـــو
حيــــدِ تلــــكَ شــــهادةُ الإيمــــانِ
أســــنانُهُ الأعمــــالُ وهـــي شَــرائعُ الــ
إســــلامِ والمِفتـــــاحُ بالأســــــنانِ

ولهذا، لم يكتفِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعريف الاسلام بركن واحد وهو التوحيد، بل زاد عليها سائر الأركان من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم

١- انظر «شرح مسلم» للنووي (١/ ١٤٩).

٢- وانظر له «حادي الأرواح» (ص ٦٨).

رمضان وحج البيت الحرام، وهذه هي الأسنان الكبرى للمفتاح الأعظم.[١]

قيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: «بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، **فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك**».[٢]

وقد ذكر العلامة الهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ في هذا المثال الذي ضربه وهب بن منبه حَلًّا لإشكالات كثيرة وردت في بعض الأحاديث، حيث عُلِّق دخولُ الجنة فيها على قول لا إله إلا الله أو الموت على التوحيد، **فيجب أن لا يفهم منها أن لا إله إلا الله بمجردها كافية في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لا بد معها من حقوقها التي هي أسنان المفتاح**.[٣]

١- انظر «شرح البخاري» لابن بطال المالكي (٣/ ٢٣٧).

٢- ذكره البخاري في «صحيحه» (كتاب الجنائز)، ووصله في «التاريخ» (٢٦١)، وكذلك أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦). انظر «الفتح» (٣/ ١٠٩)، و«تغليق التعليق» (٢/ ٤٥٣).

٣- انظر «شرح النونية» (٢/ ٣٤٠).

التوحيد أصل لكل خير في الدنيا والآخرة

المسألة السادسة: كلُّ خير في الدنيا والآخرة فهو مِن ثمرات التوحيد، وكلُّ شَرٍّ في الدنيا والآخرة فهو مِن ثمرات الشرك.

ولكنَّ ثمارَ التوحيد لا تحصل إلا باجتماع شروطه، وانتفاء موانعه، **وجماع تلك الموانع**: إمَّا شرك، وإمَّا بدعة، وإمَّا معصية.[1]

ومِن شرَف التوحيد الذي هو تحقيق لهذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله»، أن صاحبَه -وإن خلَّط معه جبالا من الذنوب-، لا يُخلَّد في النار وإن عُذِّب، وأما الشرك، فنجاسته -لعِظَمها- لا تُطَهِّرُها النار.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**ومن لم يُحرِق اليوم قلبَه بنار الأسف عَلَى ما سلف، أو بنار الشوق إِلَى لقاء الحبيب، فنار جهنم له أشد حرًا. ما يحتاج إلى التطهير بنار جهنم إلا من لم يُكمِّل تحقيقَ التوحيد والقيام بحقوقه**». انتهى.

فإنَّ النَّارَ خلَقها اللهُ لإذابة القلوب القاسية، غير أنَّ نجاسةَ الشرك لا تطْهرُ مهما طال مُكثُ صاحبِها في النار، ولهذا يبقى الكافرُ مخلَّدًا فيها، ولا يصيرُ إلى الجنَّة أبدًا، **لأنَّ دارَ الطيِّب المَحض لا يدخُلُها خبيث.**

١- انظر «تعليق ابن سعدي على منظومته في القواعد» (ص ٢٠، ٤٩-٥٠).

٢- نفس المصدر (٣/ ٦٥).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن تكلم على شروط كلمة التوحيد-[١]: «**نار المحبة في قلوب المؤمنين تخاف منها نار جهنم**». انتهى.

وقال[٢]: «**إذا علِقت نارُ المحبة بالقلب، أحرقَت منه كلَّ ما سوى الرب**»، وقال[٣]: «**نارُ جهنَّم تنطفئ بنور إيمان الموحدين**». انتهى.

ومعنى هذا: أنَّ المؤمن إذا قويت محبته لله، وعَظُمت استقامته على دين الله، واستنار طريقه بطاعة الله، لم تحرِقْه نارُ جهنم، **حتى إن المؤمن لَيدخلُ إلى جهنمَ لِيَشفَعَ** في أصحابه ولا تمسُّه النار بسوء، **فتكونُ عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بردا وسلاما**.

١- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٢٧).

٢- نفس المصدر (٣/ ١١٧٦).

٣- «كلمة الإخلاص» ضمن الرسائل (٣/ ٦٦).

كلمة التوحيد تعصم في الحال بنطقها، وفي المآل بتحقيقها

المسألة السابعة: مَن نطق بكلمة التوحيد عَصَم نفسَه ومالَه، ولكنَّها عصمةٌ لا تدومُ حتَّى يُحقِّق العبدُ ما اقتضته تلك الشهادة، وإلَّا فلا رَيبَ أنَّ مَن تبيَّن مِن حالِه مناقَضةُ ما حَكاه لسانُه من إقرارِه بالتوحيد لم تبقَ له تلك العصمة.

ويتَّضح ذلك إذا علمتَ -أيها الموفَّق- أنَّ كلمة التوحيد لها عصمتان:[1]

- **عصمةٌ في الحَال:** وهذه يُكتفى فيها بالشهادتين.
- **وعصمةٌ في المآل:** لا بُدَّ فيها من الإتيان بحقوقِ الشهادتين من أركانِ الإسلام.

وَنَـاطِـــــقٌ بِكِلْمَـــــةِ الـتَّـوْحِيـــــدِ
يُعْـصَـــمُ فِـــي الْـحَـــالِ بِـــلَا تَـرْدِيـــدِ
لكـــنَّ عِـصْـمَـــةَ الـمَــــآلِ تُـنْـقَـــضُ
إذا أَتَـــى بِـنَــاقِــــضٍ يُـنَـاقِــــضُ

فمَن قالَ: «لا إله إلا الله» نَـكُفُّ عَنهُ وتكون له **عِصمَةُ الحَالِ**، فَإذا أَتَى بِنَاقِضٍ لهذه الشَّهادَةِ خَرَجَ من الإسلام ولم تَـكُن له **عِصمَةُ المآلِ**.

١- انظر «شرح نظم المهمات من كشف الشبهات»، للمؤلف.

قيل للحسن البصري: «**إنَّ ناسا يقولون: من قال «لا إله إلا الله» دخل الجنة، فقال: من قال «لا إله إلا الله» فأدَّى حقَّها وفَرضها، دَخل الجنة**».

وقال طائفة من العلماء: «**إنّ كلمةَ التوحيد سببٌ مقتضٍ لدخول الجنة والنجاة من النار، لكن له شروط، وهي الإتيان بالفرائض، وموانع وهي إتيان الكبائر**».[1]

وبيَّن هذا الأصلَ العظيمَ العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كلام له طويل في «الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد»**[2] حاصله أنَّه وليس مجرد قول «لا إله إلا الله» من دون عمل بمعناها مثبِتًا للإسلام، فإنَّه لو قالها أحدٌ مِن أهل الجاهليَّة، وعكَف على صنمِه يعبدُه لم يكن ذلك إسلامًا.

وأمَّا مَن قال «لا إله إلا الله» ولم يتبيَّن مِن أفعاله ما يخالِف معنى التوحيد فهو مسلِمٌ مَحقُونُ الدم والمال [= **عِصمَة الحَالِ**] إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في حديث جبريل، وأمَّا إذا أتى بما ينقُضها، فلا رَيبَ أنَّه قد تبيَّن مِن حالِه خلافُ ما حَكاه لسانُه من إقرارِه بالتوحيد، فهذا لم يكن معصومَ الدم ولا المال [= **عِصمَة المآلِ**].

١- انظر «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٢٣).

٢- انظر «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (١/ ٣٤٥-٣٥٠)، وعنه صديق حسن خان القنوجي في «الدين الخالص» (٤/ ٥١).

وما أجمل قولَ الحافظ ابن رجب متحدِّثا عمَّن أَخَلَّ بكلمة «لا إله إلا الله»، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**ومَن دخل النَّارَ مِن أهل هذه الكلمة، فلِقِلَّة صدقِه في قولها، فإنَّ هذه الكلمة إذا صدقَت طهَّرت القلبَ مِن كلِّ ما سِوى الله**، فمن صدق في قوله: «لا إله إلا الله» لم يحبَّ سواه، ولم يَرْجُ إلا إيَّاه، ولم يخشَ أحدًا إلَّا الله، ولم يتوكَّل إلَّا على الله، ولم تبقَ له بقيَّـةٌ من إيثارِ نفسِه وهواه، **ومتى بقي في القلب أثرٌ لسوى الله، فمِن قِلَّة الصدق في قولها**». انتهى.

١- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٢٦).

الركن الثاني: إقامة الصلاة

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتُقِيمَ الصَّلاة»: أي: تفعلها بكل ما لها من شروط وأركان، مع حفظها من كل ما يكدِّرُها ويُنقِصُ أجرَها، والحفاظ عليها في وقتها، والخشوع لله جل وعلا فيها.

وإقام الصلاة هو الركن الثاني من أركان الإسلام ودعائمه العظام، **والكلام عليه في مسائل:**

تعريف الصلاة

المسألة الأولى: والصلاة لغةً: الدعاء، عند جماهير العلماء من أهل اللغة والفقه وغيرهم[١]، وقيل غير ذلك.[٢]

وشرعًا: هي «أقوالٌ وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة».[٣]

١- انظر «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٧٩).

٢- انظر «الروض الأنف» (٣/ ٦)، و«نتائج الفكر في النَّحو» (ص ٤٧)، وكلاهما للسهيلي، وعنه ابن القيم في «بدائع الفوائد» (١/ ٤٥)، و«الذخيرة» للقرافي (٢/ ٥-٦)، و«المصباح المنير» (١/ ٣٤٦).

٣- انظر «المقدمات الممهدات» لابن رشد الجد (١/ ١٣٨)، و«مواهب الجليل» للحطاب الرعيني (١/ ٣٧٧)، و«شرح حدود ابن عرفة» للرصَّاع التونسي (ص ٤٣)، و«الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٧/ ٥١).

معنى إقام الصلاة

المسألة الثانية: جاء الأمرُ بإقام الصلاة في كتاب الله جَلَّجَلَالُهُ في مواضعَ كثيرةٍ يصعُب حصرُها، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الروم: ٣١]، وقولُه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥].

وفي إحدى روايات هذا الحديث: «**الإسلامُ أن تعبُدَ اللهَ، ولا تشركَ به شيئًا، وتُقيمَ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّيَ الزَّكاةَ المفروضةَ، وتصومَ رمضانَ**».(١)

فاستفدنا مِن هذا اللفظ أمرين:

- **الأول**: أنَّ المرادَ بالصلاة التي هي ركن مِن أركان الإسلام هي الصلاة المكتوبة.
- **والثاني**: أنَّ مقصودَ الشارِع إقامةُ الصلاة لا مجرَّدُ فعلِها.

و المراد بـإقامتها: (٢)

- إدامتُها والمحافظة عليها في أوقاتها.
- وقيل: إتمامُها على وجهها، بإتمام أركانها واستيفاء أقوالها وأفعالها،

١- مسلم (٩).

٢- انظر «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ١٧)، و«الصلاة» لابن القيم (ص ١٤٠)، و«فتح الباري» لابن رجب (٤/ ١٩٣).

واختاره الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.(١)

وشرح هذا شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال(٢): «واللهُ ﷻ أمَرَنا بإقامتها، **والإقامة: أنْ تُجعَل قائمةً، والشيء القائم: هو المستقيم المعتدِل، فلا بد أن تكون أفعالُ الصلاة مستقِرَّةً معتدِلة**، وذلك إنما يكون بثُبوت أبعاضِها واستقرارها، وهذا يتضمن الطمأنينة، فإنَّ من نَقَر نَقْرَ الغُراب لم يُقِم السجود، ولا يَتِمُّ سجودُه إذا لم يَثبُت ولم يَستقِر، وكذلك الراكع». انتهى.

وأحسنَ العلامةُ ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله(٣): «فلن تكادَ تجدُ ذِكرَ الصلاة في موضع من التنزيل إلا مقرونا بإقامتها، **فالمصلُّون في الناس قليلٌ، ومقيمُ الصلاة منهم أقلُّ القليل**، كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الحاجُّ قليل والرَّكب كثير»(٤)». انتهى.

١- «شرح مسلم» (١/ ١٦٣).

٢- «القواعد النورانية» (ص ٦٦)، بتصرف يسير.

٣- «الصلاة» (ص ٦٦).

٤- رواه عبد الرزاق في «المصنَّف» (٥/ ١٩) عن شريح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مكانة الصلاة من الدين

المسألة الثالثة: الصلاةُ -لعظم شأنها- علَّقَ اللهُ الأخوَّةَ الإيمانية عليها كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[التوبة: ١١][1]، كما أنَّه علق ترك القتال عليها في قوله: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ﴾[التوبة: ٥][2]، ولما سئل أهلُ النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾[المدثر: ٤٢]، ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[المدثر: ٤٣]، وقال جلَّ وعلا: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾[الماعون: ٤-٥].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «فإذا كان اللهُ تعالى توعَّد بالويل المصلي الذي هو ساهٍ عن صلاته ويُرائي فيها، **فكيف بالذي لا يصلي أصلًا، فالويل كلُّ الويل له**، وعليه لعائن الله إلى يوم القيامة ما لم يتُب». انتهى.

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بين الرَّجُلِ وبين الشِّركِ والكُفرِ تَركُ**

١- روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٣) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنه قال: «**حرَّمت هذه الآيةُ دماءَ أهلِ القِبْلَة**».

٢- انظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٠٤) (٧/ ٦١٤).

٣- «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص ٢٨٨).

الصَّلَاة»[١]، فمن ترك الصلاة فقد ترك رُكنا عظيماً من مباني الإسلام، ولم يَبقَ له من حقيقة الإسلام إلا الاسم، ولم يكن قد حَصَّل منه إلا الرَّسم، لأنَّ **الصلاةَ هي شعار أهل الإسلام الظاهر**، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ المُصَلِّين**»[٢]، ومثلها في الدلالة على صحة الإسلام ما هو أفضل منها كالتوحيد، وما هو أدنى كالزكاة، وفي هذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أن أقاتِل الناسَ حتى يشَهدُوا أن لا إله إلا الله، أنَّ محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويُؤتوا الزكاةَ، فإذا فَعَلوا ذلِكَ عَصمُوا مني دِمائهُمْ، إلا بحقِّ الإسلام، وحِسابُهُم على الله**»[٣]، فالصلاة لا تكون عاصمةً للدم إلا ببقية دعائم الإسلام العظام وأهمُّها صدق التوحيد.[٤]

وعن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**منْ صَلَّى صَلاتَنا واستَقبَلَ قِبلَتنا، وأكَلَ ذَبِيحتَنا، فذلك المسلمُ الَّذي له ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسولِه، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِه**».[٥]

١- رواه مسلم (٨٢). وانظر «المفهم» لأبي العباس القرطبي (١/ ٢٧١).

٢- رواه أبو داود في «السنن» (٤٩٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٠٦).

٣- رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢١). وانظر «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (٣/ ٥٦).

٤- وتقدَّم هذا أثناء الكلام على «شهادة التوحيد».

٥- رواه البخاري (٣٩١).

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفا: «**مَن ترك الصلاة فلا دينَ له**».[١]

وقال عبد الله بن شقيق: «**كان أصحابُ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لا يَرَونَ شيئًا منَ الأعْمالِ تَرْكُهُ كُفرٌ غَيرَ الصَّلاة**».[٢]

قال ابن رجب[٣]: «الصلاة برهان على صحة الإسلام». انتهى.

وفي «الصحيح» قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تأكلُ النَّارُ ابنَ آدمَ إلَّا أثَرَ السُّجود، حَرَّم اللهُ على النَّار أنْ تأكُلَ أثَرَ السُّجود**».[٤]

قال ابن تيمية[٥]: «فعُلِم أنَّ مَن لم يكُن يسجُدُ لله تأكلُه النَّارُ كلَّه». انتهى.

وقال ابن القيم[٦]: «**والصلاة مجلَبة للرِّزق، حافِظة للصِّحة، دافِعة للأذى، مطرِدة للأدواء، مقوِّية للقلب،** مبيِّضة للوجه، مفرِحة للنفس، مذهِبة للكسل، منشِّطة للجوارح، مِدَّة للقوى، **شارِحة للصَّدر، مغذِّية للروح،**

١- قال الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٣٧٠): «رواه ابن أبي شيبة في «كتاب الإيمان» (١٨٤/ ٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٩/ ١) بسند حسن».

٢- رواه الترمذي (٢٦٢٢). وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٣٦٦-٣٧٦).

٣- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٤٧).

٤- رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

٥- «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٢).

٦- «زاد المعاد» (٤/ ٣٠٤-٣٠٥). وانظر (٤/ ١٩٢). وكلامه في هذا كثير، عليه رحمة الله ورضوانه. وانظر كتاب «**ذوق الصلاة عند ابن القيم**»، للزرقي.

منوِّرة للقلب، حافِظة للنِّعمة، دافِعة للنِّقمة، جالِبة للبَرَكة، مبعِدة من الشيطان، مقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة: **فلها تأثيرٌ عجيبٌ في حِفظ صحَّةِ البدن والقلب**، وقُواهما ودفع المواد الرَّديئة عنهما، وما ابتُلِيَ رجلان بعاهَة أو داءٍ أو مِحنَةٍ أو بَلِيَّةٍ إلَّا كان حظُّ المصلي منهما أقَلَّ، وعاقبتُه أسلَم.

وللصلاة تأثير عجيبٌ في دَفع شُرورِ الدنيا، ولا سيَّما إذا أُعطِيَت حقَّها مِن التكميل ظاهرًا وباطنًا، **فما استُدفِعَت شرورُ الدنيا والآخرة، ولا استُجلِبَت مصالحُها بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أن الصلاة صِلَةٌ بالله** ﷻ، **وعلى قَدْرِ صِلَةِ العبدِ بربِّه** ﷻ **تُفتَح عليه مِن الخيرات أبوابُها، وتُقطَع عنه من الشرور أسبابُها**، وتُفيضُ عليه مَوادُّ التوفيق من ربِّه ﷻ، والعافيةُ والصحةُ، والغَنِيمةُ والغِنَى، والرَّاحةُ والنِّعيمُ، والأفراحُ والمَسَرَّاتُ كلُّها مُحْضَرَةٌ لديه، ومسارِعةٌ إليه». انتهى.



حكم تارك الصلاة

المسألة الرابعة: اختلف أئمة الإسلام فيمن ترَك الصلاة كسلًا على أقوال مشهورة محلُّها كتب الأحكام[١]، **مع إجماعهم على كفر من تركها جُحودًا**، لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة.[٢]

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تفصيل حسن في حكم تارك الصلاة**[٣] **خلاصته أنَّ الناس مع الصلاة أربعة أقسام:**

١. الممتنع عن أدائها حتى يُقَتل، فهذا كافر، لأنه لا يمكن أن يكون مقرًّا بها في الباطن ويمتنع منها ظاهرا حتى الموت -ولو قال أنا مقر بوجوبها غير أني لا أفعلها-، فمَثَلُ هذا كالَّذي أخذ يُلقي المصحف في الحُشِّ ويقول: أشهد أنَّ ما فيه كلامُ الله!

٢. المُصرُّ على تركها بالكليَّة حتى يموت، فلا يسجد لله سجدةً قط مع التمكن والقدرة، **فهذا لا يكون مسلمـًا** مُقرًّا بوجوبها.

١- انظر «بداية المجتهد» لابن رشد الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٩٧-٩٩)، و«جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة» للعرفج (ص ٤٣٩، وما بعدها).

٢- انظر «القوانين الفقهية» لابن جزي (ص ٣٤)، و«المفهم» للقرطبي (١/ ٢٧١).

٣- انظر «الفتاوى» (٢٢/ ٤٠-٤٩) (٧/ ٦١٤-٦١٧)، ومواضع أخرى.

٣. الذي يصليها، ولكنه لا يحافظ عليها، فهذا تحت مشيئة الله[١]، لحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«خمسُ صلواتٍ افتَرَضَهُنَّ اللهُ، مَن أحسَنَ وُضوءَهُنَّ وصَلاَّهنّ لوقتِهنَّ وأتمَّ ركوعَهُنَّ وخُشوعَهُنَّ كانَ له على الله عَهدٌ أن يَغفِرَ له، ومن لم يَفعَل فليسَ له على الله عَهدٌ، إن شاءَ غَفَرَ له، وإن شاءَ عَذَّبَه»**.[٢]

٤. المؤمنون المحافظون على الصلاة، المعظِّمون لهذه الشعيرة، وهؤلاء هم أصحاب العهد في دخول الجنة.

١- ومن المعلوم أن العبد إذا تُرك تحت مشيئة الله في التعذيب أو العفوِ فإنه مسلم بالإجماع، ولهذا الله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨، ١١٦]، أي لمن مات على التوحيد، فإنَّ من مات على الشرك الأكبر ليس له في رحمة الله جل وعلا نصيب، قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ **وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ** وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[الأعراف: ٤٠].

٢- رواه أحمد في «المُسند» (٢٢٧٠٤)، وأبو داود (٤٢٥)، وغيرُهما، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٥). وقال ابن تيمية في «الفتاوى (٧/ ٦١٥)»: «**فالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إنما أدخل تحت المشيئة من لم يحافظ عليها لا من ترك**، ونفس المحافظة يقتضي أنهم صلوا ولم يحافظوا عليها...».

يقول القحطانيُّ في «نونيته»[١]:

وإذا دُعيــــــتَ إلــــــى أداءِ فَريضَــــــةٍ

فــــانطُطْ ولا تَــــكُ في الإجابَـــةِ وانِـــي

قُــمْ بالصَّــلاةِ الخَمْـسِ واعــرِفْ قَـدْرَها

فلَهُــــــنَّ عِنـــــدَ الله أَعظَــــــمُ شـــــانِ

١- (ص ٢٥).

الركن الثالث: إيتاء الزكاة

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتُؤْتِيَ الزَّكاة».

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية ثم أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس.(١)

والكلام على الزكاة في مسألتين:

المسألة الأولى: الزكاة لغةً: النَّماءُ والزيادة والطهارة.(٢)

وشرعًا: «مال مخصوص، يُؤخذ من مال مخصوص، إذا بلغ قدرا مخصوصا، في وقت مخصوص، يُصرَف في جهات مخصوصة».(٣)

وسمِّيَت الزكاةُ بذلك لأنَّ إخراجَها سببٌ للنَّماء في المال حِسًّا وبرَكة وأجرًا عند الله، ولأنَّها طُهرَةٌ للنَّفس مِن رَذيلة البُخل، أو لأنَّها تُطَهِّر مِن الذنوب. وهذا في حق الدافع والآخِذ معًا، فأمَّا في حق الدافع: فتطهيرُه

١- انظر «فتح الباري» (٢/ ٧).

٢- انظر «مواهب الجليل» للحطاب الرُّعَيني (٢/ ٢٥٥).

٣- انظر «المقدمات الممهدات» (١/ ٢٧١)، و«الثمر الداني» للآبي (ص ٣٢٢)، و«شرح حدود ابن عرفة» (ص ٧١)، و«الموسوعة الكويتية» (٢٣/ ٢٢٦).

وتضعيفُ أجورِه، وأمَّا في حق الآخِذ: فلِسَدِّ خَلَّتِهِ أي: حاجته.[١]

اقتران الزكاة بالصلاة في القرآن

المسألة الثانية: الزكاةُ واجِبَةٌ على أهل الجِدَّات وهم أهلُ الغِنى، الذين يملكون أموالًا زَكَوِيَّةً[٢]، بَلَغت النِّصابَ وحالَ عليها الحَولُ، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥]، ولقوله جلَّ وعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة: ٢٧٧]، وغير ذلك من الآيات التي تَقرِنُ بين الصلاة والزكاة في القرآن.

لا تَمْـــنَعَنَّ زَكـــاةَ مالِـــك ظالِمًـــا
فصَـــــلاتُنا وزَكاتُنَـــــا أُختَـــــانِ

واقترنت الزكاة بالصلاة في القرآن في ستَّةٍ وعشرين (٢٦) موضعًا.[٣]

١- انظر «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد (١/ ٣٧٤-٣٧٥)، و«المنهج المبين» للفاكهاني (ص ١٣٧).

٢- وهو الأفصَحُ، كما قال الفيُّومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المصباح المُنير» (١/ ٢٥٤).

٣- انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبدالباقي (ص ٣٣١-٣٣٢).

ومن فِقه أبي بكر الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قولُه في مانِعي الزكاة: «**لأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّقَ بين الصَّلاةِ والزَّكاة**».[١]

قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «وقد كانت الزكاةُ جديرةً أنْ تُعدَّ في شعائر نظام ولاية أمر المسلمين، **ولكنَّ اللهَ رفع قدرَها، فجعلَها عبادةً وقُربةً، وقارَن بها الصلاة تنويهًا بشأنها، وجعلَها مِن خطاب التكليف المقصود لذاته**». انتهى.

وأمَّا عن مستَحقِّيها، فليس لأحد أن يعطيَ زكاةَ مالِه لغير مَن سَمَّى اللهُ تعالى في كتابه في قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[التوبة: ٦٠].[٣]

١- رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠). وانظر «التمهيد» (٤/ ٢٣١).

٢- «كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ» (ص ١٤٥)، بتصرف يسير.

٣- انظر «الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البر (١/ ٣٢٥).

الركن الرابع: صوم رمضان

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتَصومَ رمضان».

والكلام على الصيام في مسألتين:

المسألة الأولى: **الصيام لغةً**: الإمساك[١]، وشرعًا: «الإمساك بنية عن شهوتي البطن والفرج وما في حُكمِهما مِن طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس».[٢]

المسألة الثانية: **إنَّ اللهَ جعلَ صيامَ رمضانَ ركناً للإسلام**، وليس مُطلقَ الصيام، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البقرة: ١٨٥].

وفي الصيام فوائدُ جمَّة يعلمها الله تعالى، ولذلك قال الله تعالى في مقام الترخيص لبعض أهل الأعذار في الفطر: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ١٨٤].[٣]

١- لا خلاف في ذلك، كما قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (١/ ١٠٦).

٢- انظر «المقدمات الممهدات» (١/ ٢٣٧)، و« التدليل والبيان على الخلاصة في أحكام صيام رمضان»، للمؤلف.

٣- انظر «كشف المغطى» (ص ١٦٢).

الركن الخامس: أداءُ الحج

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وتَحُجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليه سَبيلا».

والكلام على الحج في مسألتين:

المسألة الأولى: الحجُّ لغةً: القصد.[1]

وشرعًا: «قصد البيت الحرام على صفة ما، في وقت ما، وتقترن به أفعال ما».[2]

المسألة الثانية: الحجُّ واجب مرَّةً في العمر بالإجماع[3]، لأهل الاستطاعة: بالمال، والصِّحَّة، وأَمنِ الطَّريق، ويُضافُ اشتراطُ المَحرَمِ للمرأة.

يقول القحطانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[4]:

والحَــجُّ مُفتَــرَضٌ عليــكَ وشَــرطُهُ
أَمْــنُ الطَّريــقِ وصِــحَّةُ الأبــدانِ

١- انظر «المصباح المنير» (١/ ١٢١).

٢- انظر «المقدمات الممهدات» (١/ ٣٧٩)، و«الثمر الداني» للآبي (ص ٣٢٢)، و«شرح حدود ابن عرفة» (ص ٧١)، و«الموسوعة الكويتية» (٢٣/ ٢٢٦).

٣- انظر «الإجماع» لابن المنذر (١٣٦)، و«الإقناع» لابن القطان (١٣٦٦)، «مواهب الجليل» (٢/ ٤٦٥).

٤- «النونية» (ص ٢٥).

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[آل عمران: ٩٧]، وحرف «على» من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيدا لحقه وتعظيما لحرمته.[١]

يقول الناظم[٢]:

الحـــــــجُّ والعمــــــــرةُ واجِبــــــانِ
في العُمْــــــرِ مَــــــرَّةً بــــــلا تَــــــوانِ

بشَـــــــرطِ إســــــلامٍ كـــــذا حُرِّيــــــهْ
عقــــــلٌ بلـــــــوغٌ قُــــــدْرَةٌ جَلِيَّـــــــهْ

وفي الحجِّ إعلاءٌ لكلمة التوحيد، وإبطال لما كان عليه أهلُ الجاهليَّة مِن الإشراك والتنديد، مع التجَرُّد مِن علائقِ الحياة الدنيا، ممَّا يسمو بالنفوس، فيزيدُها زكاةً وتقديسًا.

وفي الحجِّ تتجلَّى المساواة الإسلامية في أجلى مظاهرها، مع ما فيه مِن اجتماع طوائفَ مِن المسلمين مِن أقطارٍ مختلفة، لتعرُّف بعضِهم بأحوال

١- انظر «تفسير القرطبي» (٤/ ١٤٢، وما بعدها)، فهو مفيد.

٢- وهو عثمان بن قائد النجدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفَّى سنة ١٠٩٧ هـ).

بعض، وتشاوُرِهم فيما يعود عليهم بالنَّفع، ويدفعُ عنهم المصائب والنوائب، وتعاون بعضهم ببعض.[١]



١- انظر «كشف المغطى» (ص ١٩١).

الإسلام سرُّ السعادة وأُسُّ الرِّيادة

من تأمَّلَ هذه الأركان الخمسة للإسلام، وجد أنَّ **الحج واجبٌ في العمر، ورمضان صيامه واجب في السنة، والزكاة تؤدَّى مرَّةً في السنة في مال بلَغ النِّصاب وحال عليه الحَوْل، والصلاة خمس مرَّات في اليوم، وأما التوحيد فهو مع كل نفَسٍ مِن أنفاس الحياة.**

فبهذه العبادات يتقلَّب العبدُ في عُبودية الله جل وعلا بالقول والفعل والاعتقاد ظاهِرًا وباطِنًا، وفي كل لحظةٍ من لحظات الحياة، **فكما أنَّ الجنَّةَ إذا دخلَها العبدُ لا يَخرُجُ منها أبداً، فكذلك العبودية إذا دخل فيها المؤمن لا يخرج عنها أبدا، وهذا هو سبيل السعادة، وأُسُّ الريادة.**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**فمَن أراد السعادة الأبدية، فليلزم عَتَبَةَ العُبوديَّة**». انتهى.

وصدَق العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال[2]: «الإسلام الذي مِن مقاصِده إسعادُ البشر، لا يكون أبناؤه أشقى الناس». انتهى.

وأكَّد هذا المعنى العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] بقوله: «فلولا الدينُ

١- كما نقل ذلك عنه ابن القيم في «المدارج» (١/ ٤٢٩).

٢- «الآثار» (١/ ١١١).

٣- «التفسير» (ص ٨٨٨). وانظر له رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة».

الإسلاميُّ ما ارتَفع أحدٌ من الخَلق، **فهو رُوح السعادة، وقُطب رَحَى الكمال**». انتهى.



السؤال الحَسن تعليم

ثم قال السائل للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقْتَ**»، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ**»، لأنَّ السائلَ عادةً لا يَعلَمُ الجوابَ، ولهذا يسأل ليتَعلَّم، ولكنَّه لما أجابَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال السائل: «**صَدَقْتَ**»، وهذا الذي أثار تعَجُّبَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «إنَّما تعجَّبوا من ذلك، لأنَّ ما جاء به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُعرَفُ إلا مِن جهته، وليس هذا السائلُ مِمَّن عُرِفَ بلقاءِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بالسَّمَاعِ منه». انتهى.

والسؤال عن شيءٍ معلوم للسائل بنِيَّـة إفادَة الحاضرين يُعتَبرُ تعليمًا لهم، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث: «**فإنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَـكُمْ**»، لأنَّه المُتَسَبِّبُ فيه بسؤاله.

وسيأتي لهذا مزيد إيضاح في آخر هذا الشرح -بعون الله وفضله-.

١- «المفهم» (١/ ١٥١)، «فتح الباري» (١/ ١١٧).

حقيقة الإيمان

بعد سؤالِه عن الأمور الظاهرة، سأل جبريلُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأمور الباطنة، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قال: «**أَنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِر، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**»، قال: صَدَقْتَ.

وجاء في بعض الروايات تقديم السؤال عن الإيمان قبل الإسلام، والقصَّة واحدة، وإنَّما وقع الاختلاف بين الرواة في تأديتها تقديمًا وتأخيرًا.[١]

١- انظر «فتح الباري» (١/ ١١٧).

تعريف الإيمان عند أهل السنة

وذلك في مسائل:

الإيمان في اللغة: الإقرار

المسألة الأولى: **الإيمان لُغَةً:** مُشتَقٌّ من الأَمْن: أَمِنَ يأمَنُ أمانًا، وهو الإقرار، أو التصديق الجازم الذي يَتبعه عملٌ يأمَنُ معه المؤمنُ الغائلة أو العقوبة.[١]

وأما من فَسَّر الإيمان لغةً بالتصديق، فإنما قَصَدَ التصديقَ الثابتَ المُتيَقَّن الراسِخَ، الذي يَترتَّب عليه انقِيادٌ وعمَل.

قال حافظ حكمي[٢]: «ومِن هنا يتبيَّنُ لك أنَّ مَن قال مِن أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللُّغة، أنَّهم **إنَّما عَنَوا التصديقَ الإذعانيَّ المستلزمَ للانقياد ظاهرًا وباطنًا بلا شكٍّ، لم يَعْنُوا مجـرَّدَ التصديق،** فإنَّ إبليسَ لم يُكَذِّب في أمرِ الله تعالى له بالسجود وإنَّما أَبَى عن الانقياد كفرًا واستكبارًا،

١- انظر «المفردات» للراغب (ص ٩١). وانظر في كتب اللغة: مادة (أَمِنَ)، كـ«الصحاح» للجوهري (٥/ ٢٠٧١)، و«المصباح المنير» (١/ ٢٤)، و«القاموس» (١/ ١٨٢)، و«لسان العرب» (١٣/ ٢١)، وغيرها. وانظر «فتاوى شيخ الإسلام» (٧/ ٢٩٠، وما بعدها؛ ٧/ ٥٢٩، ٦٣٨).

٢- «معارج القبول» (٢/ ٥٩٤).

واليهود كانوا يعتقدون صِدقَ الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتَّبِعوه، وفرعون كان يعتقد صِدقَ موسى ولم يَنقَد، بل جَحَد بآيات الله ظُلْمًا وعُلُوًّا». انتهى.

وقد ردَّ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإيمان الكبير»[1] على من ادَّعى إجماعَ أهلِ اللغة أنَّ الإيمانَ هو التصديق.

ولو سلَّمنا جدلاً أنَّ الإيمانَ في اللُّغة هو التصديق، فإنَّ الألفاظَ الشرعيَّة تُحمَلُ على الحقيقة الشرعيَّة، لا على الحقيقة اللُّغَويَّة فضلًا عن العُرفيَّة، والإيمانُ الشرعي مشتملٌ على التَّصديق بالجَنان والعمل بالأركان والإقرار باللسان.[2]

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «**والحاصل، أن الشرعَ تصرَّف في حال هذه الأسماء في أصلِ وَضعِها، فخصَّصَ عامًّا، كالحال في الإسلام والإيمان، فإنَّهما بحُكم الوَضع يعُمَّان كلَّ انقياد، وكلَّ تصديق، لكنْ قصَرَها الشرعُ على تصديق مخصوص[4] وانقياد مخصوص**، وكذلك فعلَت العربُ في

١- «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٢٣، وما بعدها). وانظر «فهارس الفتاوى» (٣٦/ ٦١٥)، وقد أحسنَ الشيخ الخميس في تلخيص كلام ابن تيمية في كتابه «التوضيحات الجَليَّة» (٢/ ٨١٠).

٢- انظر «شرح مختصر التحرير» للفتوحي (١/ ١٥٠)، و«التوضيحات» (٢/ ٨١٠)، و«مجموع الفتاوى» (٧/ ١٢٧)، و«الهداية الربانية» للراجحي (١/ ٤٨٠).

٣- «المفهم» (١/ ١٤٠)، وعنه الفاكهاني في «المنهج المبين» (ص ١٠٥).

٤- **والصحيح -كما تقدَّم- أنَّ الإيمان لغة هو الإقرار لا مُجَرَّدُ التصديق.**

لغتها في الأسماء العرفيَّـة، كالدابة: فإنَّها في الأصل لكل ما يَدِبُّ، ثم عُرفُهم خصَّصَها ببعض ما يَدِبُّ، **فالأسماء الشرعيَّـة كالأسماء العُرفيَّـة في هذا التصرُّف**، والله أعلم». انتهى.



الإيمان في الشرع

المسألة الثانية: وأما الإيمان شرعًا، فإنَّما يُعرَّف بطريقتين:

- **الأولى: باعتبار متعلَّقاتِه**، كما عرَّفه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث، فذكر أنَّ الإيمانَ «**أنْ تُؤمِنَ بِالله، وملائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِر، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «دلَّ جواب النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه علِم أنَّ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ **سأله عن متعلَّقاتِ الإيمان، لا عن معنى لفظه**». انتهى.

- **والثانية: باعتبار حقيقته ومَـحَلِّه**، لأنَّ الإيمانَ عند السلف حقيقة مُركَّبة، مَـحَلُّها القلب واللسان والجوارح.

وقد أجمع السَّلَفُ على أنَّ الإيمانَ **قَولٌ وعملٌ، وهذه عِبَارةُ أكثرِ المُتقدِّمين**[2] **مِن التَّابعين وأتباعِ التابعين فَمَن بَعدَهُم، وليس بين عبارات السلف في تعريف الإيمان اختلاف معنوي**، ولكن القول المطلق، والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، **فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين**، وكذلك عمل

١- «فتح الباري» (١/ ١١٧).

٢- وانظر شرح شيخ الإسلام لعبارات السلف في الإيمان في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠-١٧١، ٥٠٥-٥٠٦).

الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر.[١]

فلا بد في الإيمان من قلب يصدِّق، ولسان ينطِق، وجوارحَ تطبِّق وتحقِّق.

ونَقَلَ الإجماعَ على قول أهل السنة في الإيمان جَماعةٌ مِن أهل العلم، ومِن هؤلاء: **الشَّافعيُّ، والحميدي، والمزني، والآجري، وابن بطة، في آخرين...**[٢]

قال ابن أبي زمنين المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**والإيمان بالله: هو باللسان والقلب، وتصديقُ ذلك العمل، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه**». انتهى.

وقال الإمام ابن عبد البَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «**أجمع أهلُ الفقه والحديث على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنِيَّة، والإيمان عندهم يَزيدُ بالطاعةِ ويَنقُص بالمَعصية، والطاعاتُ كلُّها عندهم إيمان**». انتهى.

١- انظر «الفتاوى» (٧/ ٥٠٥).

٢- انظر مثلا «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٥/ ٩٥٦)، و«الشريعة» (٢/ ٦٨٦)، و«الإبانة الكبرى» (٢/ ٧٦٠)، وخلاصة ذلك في «موسوعة العقيدة» (١/ ٤٧٠)، طالعها فإنَّ فيها فوائدَ جمَّةً، جزى الله مَن قام عليها خيرا.

٣- «أصول السنة» (ص ٢٠٧). وهو قريب من قول المزني في «شرح السنة» (ص ٧٧-٧٨).

٤- «التمهيد» (٩/ ٢٣٨).

معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل

المسألة الثالثة: قولُ السلف: «**الإيمان قول وعمل**»، يندرج فيه أمور:

أوَّلها: قول القلب: وهو تصديقه وإقراره واعتقاداته التي مَحلُّها القلب: كالاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾[الزمر: ٣٣].[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «وإذا زالَ تَصديقُ القلب لم تَنفع بَقيَّةُ الأجزاء، فإنَّ تَصديقَ القلب شَرطٌ في اعتقادِها وكونِها نافعةً». انتهى.

وثانيها: قول اللسان: وهو نطقُه بالشهادتين اللَّتين يَدخُلُ بهما العبدُ في الإسلام.

وفي «الصحيحين» قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقُولوا: لا إلَـهَ إلَّا الله، فمَنْ قالَها فقد عَصَمَ مِنِّي مالَهُ ونَفْسَهُ إلَّا**

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٧/ ٩٩).

٢- «الصلاة وأحكام تاركها» (ص ٥٦).

بحَقِّه، وحِسابُهُ على الله»[١]**، فمَن صدَّق بقلبه ولم يتَـكلَّم بلسانه -مع القدرة- فليس بمؤمن إجماعا.**[٢]

وثالثها: عمل القلب: وهو حركاتُه وإراداتُه التي لا يَصحُّ إيمانُه إلا بها، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكّل والصَّبر، وغيرها، ومن ذلك قولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[الأنفال: ٢].

وأهلُ السنة مجمعون على زوال الإيمان إذا زال عملُ القلب مع اعتقاد الصِّدق، **فإنَّ التصديقَ لا ينفعُ مع انتفاء عمل القلب.**[٣]

والفرق بين قول القلب وعمل القلب: أنَّ قولَ القلب مُتعَلَّقُه النَّفيُ والإثبات أي الاعتقادات، وأَمّا عَمَلُ القَلب فمُتَعَلَّقُه تَوجُّهَاتُ القلب وحَرَكاتُه، وأعمالُ القلب تنشأُ عنها أعمالُ الجوارح وأقوالُ اللسان.

١- البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

٢- انظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٤٠، ٣٣٧، ٥٥٠)، وقد تقدَّم تقرير هذا في الكلام على شهادة التوحيد التي هي الركن الأول من أركان الإسلام.

٣- انظر «الصلاة وأحكام تاركها» (ص ٥٦).

ورابعها: عمل اللسان: وهو ما لا يؤدَّى إلا به، كتلاوة القرآن وذكر الله والإهلال بالحج وغير ذلك، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

والفرق بين قول اللسان وعمل اللسان: أنَّ قولَ اللسان يَتعلّق بالإقرار بأصلِ الدِّين وهو الشهادتان، وأما عَملُه فيتعلَّق به أعمالٌ واجبةٌ أو مُستَحبَّةٌ سِوى النُّطق بالشهادتين، لا يتمكَّن العبدُ من أدائها إلَّا باللسان.[١]

وكثيرٌ من السلف مَن يكتفي في تعريف الإيمان بقول اللسان عن ذكر عمل اللسان، فيعرِّفونه بأنَّـه: «قول اللسان، واعتقاد القلب، وعمل الجوارح»، فيجعلون قولَ اللسان شاملًا للنُّطق بالشهادتين وسائر العبادات القولية كالذكر وقراءة القرآن، **والأمر في هذا هيِّن، إذ أنَّ أهلَ السنة والجماعة مجمِعون على أنَّ حقيقةَ الإيمان مركَّبة من القول والعمل والاعتقاد.**

وخامسها: عمل الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأعمال، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتَـكم إلى بيت المَقدس، فإنَّ اللهَ سمَّاها إيمانًا لأنَّ الصلاةَ جامعةٌ لقَول القلب وعملِه وقولِ اللسان وعملِه وعمل الجوارح.[٢]

١- انظر «معارج القبول» (٢/ ٥٩١).

٢- انظر «كشف المغطى» لابن عاشور (ص ٥٩)، و«معارج القبول» (٢/ ٥٩١).

حقيقة العمل المُصَحِّح للإيمان

المسألة الرابعة: المقصود بالعمل المُصَحِّح للإيمان ما جَـمَع وصفَين:

أحدهما: أن يكون عملًا مشروعًا، أي مطلوبا شرعيًّا، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣].

وثانيهما: أن يكون هذا العمل ممَّا يتميَّز به المسلمُ عن غيره، لا ممَّا يفعله الـخَلقُ جِبِلَّةً وطَبيعَةً، كبِرِّ الوالدين، والإحسان إلى الجيران، والمعاملة بالحُسنى مع الأصدقاء، وغيرِ ذلك من الأعمال التي يشترك فيها البَرُّ والفاجِر، والمؤمنُ والكافر، مما لا يُعتَبر دليلًا على وُجود الإيمان في القلب.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**فلا يكونُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا بالله ورسولِه مع عَدمِ شيء مِن الواجِبات التي يَختَصُّ بإيجابِها محمَّدٌ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

وعليه، فإذا تُرِك العمل بالقَيدين المذكورين، صار تركُ العمل مخرِجًا مِن الإيمان، **والمراد بترك العمل التركُ الكُلِّيُّ، لا فَردًا مِن أفراده،** إذ يُعتبر تركُ جِنسِ العمل (أي أصلُه) أحدَ أنواع كُفر الإعراض.

١- «الفتاوى» (٧/ ٦٢١). وانظر «جواب في الإيمان ونواقضه» للبرَّاك (ص ٣٠).

لا يصِحُّ إسلامٌ بلا إيمان، ولا إيمانٌ بلا إسلام

المسألة الخامسة: **الإسلام والإيمان من الكلمات التي إذا اجتمعَت تفرَّقت، وإذا تفرَّقت اجتمعَت،** كالفقير والمسكين، والربِّ والإله، والبرِّ والتَّقوى، وغير ذلك.

ولهذا، فسَّر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا الإسلامَ بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح، والإيمانَ بالاعتقادات الباطنة، وهذا باعتبار اقترانهما في موضعٍ واحدٍ، **وأمَّا إذا ذُكر الإسلام وحدَه فيدخُل فيه الإيمان، وإذا أُفرِد الإيمان دخَل فيه الإسلام.**

وهذا ما حكاه الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهل السنة والجماعة من أنَّ **الإسلام والإيمان تختلف دلالتُها بالاقتران، فإنْ أُفرِد أحدُهما دخل الآخر فيه.**[١]

فقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣] يشمل الإيمان، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٢٢٣] يشمل المسلمين.

١- نقلًا عن «فتح الباري» (١/ ١١٥). وانظر كلام الحافظ أبي بكر الإسماعيلي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفَّى سنة ٣٧١ هـ) في «اعتقاد أئمة أهل الحديث» (ص ٤٦).

وأما إذا ذكِرا جميعًا فيفترقان، ومثاله: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[الحجرات: ١٤]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ في قصة قوم لوط عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، وذلك أنَّ قوله: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، يخُصُّ المؤمنين الذين هم أهلٌ للنَّجاة من عذاب الله، وأمَّا قوله: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾، يعم كل من كان في بيت لوط، وفي بيت لوط من ليس بمؤمن، وهي امرأته التي خانته وأظهرت أنها معه وليست كذلك، **فالبيتُ بيتُ مسلمين**، لأنَّ المرأة لم تظهِر العداوة والفرقة في الظاهر، **لكنَّ الناجي هم المؤمنون خاصة**، الذين استسلموا في الظاهر، مع صدقهم في الباطن.[1]

قال ابن عاشور رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «**فبَيتُ لوط كان كلُّه من المسلمين، ولم يكن كلُّه من المؤمنين، فلذلك لم يَنْجُ منهم إلا الذين اتَّصَفوا بالإيمان والإسلام معا**». انتهى.

١- انظر «شرح الأربعين النووية» للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ (ص ٦٠-٦١).

٢- «التحرير والتنوير» (٢٧/ ٨).

ويزيد هذه المسألة إيضاحًا قولُ الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «جعل النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الإسلام اسمًا لما ظهَر من الأعمال، وجعل الإيمان اسمًا لما بطَن من الاعتقاد، **وليس ذلك، لأنَّ الأعمالَ ليست من الإيمان، أو التصديقَ بالقلب ليس من الإسلام**، بل ذلك تفصيلٌ لجملةٍ هي كلُّها شيء واحد، وجِماعُها الدين، ولذلك قال: «**ذاك جبريل أتاكم يعلِّمُكم أمرَ دينِكم**».

والتصديقُ والعملُ يتناولُهما اسمُ الإيمان والإسلام جميعًا، يدُلُّ عليه قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾[آل عمران: ٨٥].

فأخبرَ أنَّ الدِّينَ الذي رضِيَه ويقبَلُه مِن عباده هو الإسلام، **ولن يكون الدين في محَلِّ القَبول والرِّضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل**». انتهى.

وأختم هذه المسألة بكلام جامع لأبي طالب المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، قال فيه: «الإيمان والإسلام أحدُهما مرتبِطٌ بالآخر، فهما كشيء واحِد، **لا إيمانَ لمَن لا**

١- «شرح السنة» (١/ ١٠-١١)، بحذف يسير.

٢- **محمد بن علي بن عطية الحارثي**: كان شيخَ التصوف في زمانه، نشأ بمكة، ورحل إلى البصرة، ثم سكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالًا هجروه من أجلها، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببغداد سنة ٣٨٦ هـ.

=

إسلامَ له، ولا إسلامَ لمن لا إيمانَ له، إذ لا يخلو المسلمُ من إيمان به يصِحُّ إسلامُه، ولا يخلو المؤمنُ من إسلام به يحقُّ إيمانُه، من حيث اشترط اللهُ للأعمال الصالحة الإيمان، واشترط للإيمان الأعمالَ الصالحة، فقال في تحقيق ذلك: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾[الأنبياء: ٩٤]، وقال في تحقيق الإيمان بالعمل: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾[طه: ٧٥]، فمن كان ظاهرُه أعمالَ الإسلام ولا يرجِع إلى عُقود الإيمان بالغيب فهو منافقٌ نفاقًا ينقُل عن الملة، ومن كان عَقدُه الإيمانَ بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام، فهو كافرٌ كفرًا لا يثبُت معه توحيد، ومن كان مؤمنًا بالغيب ممَّا أخبرَت به الرسُلُ عن الله عاملًا بما أمَرَ اللهُ، فهو مؤمنٌ مسلمٌ».

=

قال عنه الخطيب البغدادي: «صنَّف كتابا سماه «قوت القلوب» على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكَرة مستشنعة في الصفات»، وتكلَّم عليه وعلى كتابه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ١٤٨).

انظر ترجمته في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٥١)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٥٥)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٣٠٣)، «الأعلام» (٦/ ٢٧٤).

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ومثَلُ الإيمانِ في الأعمال كمثَل القلبِ في الجِسم، لا ينفَكُّ أحدُهما عن الآخر، لا يكون ذو جِسمٍ حيٍّ لا قلبَ له، ولا ذو قلبٍ بغَير جِسم»**. انتهى.[1]

١- «قوت القلوب» (٢/ ٢١٦). وقد نقل كلامَه شيخُ الإسلام بطوله في «الإيمان» (ص ٢٦١).

الإيمان له شُعَب كثيرة

المسألة السادسة: يدخُل في الإيمان جميعُ المأمورات، سواء كان من الواجبات أو المستحبات، ويدخل فيه تركُ جميع المَنهيات، سواء كان ذلك المنهي يُنافي أصولَ الدين بالكلية أو لا.

فما مِن خِصلة من خِصال الطاعات الظاهرة والباطنة إلا وهي مِن الإيمان، ولا ترك محرَّم من المحرَّمات الظاهرة والباطنة إلا وهو مِن الإيمان.[١]

وقد جاء التصريح بحقيقة الإيمان المركَّبة من القول والعمل والاعتقاد في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فأَفضَلُها قولُ لَا إله إلَّا الله، وأدْناها إمَاطَةُ الأذَى عن الطَّرِيق، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمان**».[٢]

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هذه الشُّعَب تتفرَّع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن». انتهى.

١- انظر «التمهيد» (٩/ ٢٣٨)، و«الصلاة وأحكام تاركها» (ص ٥٤)، لابن القيم، لما تكلم على شعب الإيمان.

٢- رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

٣- «الفتح» (١/ ٥٢).

وما أحسنَ قولَ الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ شعب الإيمان -وإن كانت متعدِّدة متبدِّدة- **إلَّا أنَّ حاصِلَها يرجِعُ إلى أصلٍ واحدٍ، وهو تكميلُ النَّفْس على وجه يُصلِح معاشَه، ويحسِن معادَه، وذلك بأنْ يعتقدَ الحقَّ، ويستقيمَ في العمل**، وإليه أشار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال لسفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين سأله في الإسلام قولًا جامِعًا: «**قل: آمنتُ بالله، ثم استقِم**»[٢]». انتهى.

١- «شرح المشكاة» (١/ ١١٣)، وهنا أنقل من الطبعة الباكستانية.

٢- رواه مسلم (٣٨).

أهمية الإيمان في حياة الإنسان وثمرات تحقيقه

المسألة السابعة: تظهر أهمية الإيمان للعبد مِن عدة أوجه، منها:

- كونه أعظمَ واجب في حياة الإنسان.
- وكونه حقَّ الله على عباده.
- وكونه الفرقانَ الحقيقيَّ بين الأشقياء والسعداء.
- وكونه سرَّ الفلاح في الدنيا والآخرة.

وأما عن آثاره، فإنَّ الإيمانَ سبب:[١]

- للفوز بمحبة الله، ووَلايَته.
- والتنعُّم بالحياة الطيبة.
- والظَّفَر بالنصر والتمكين.
- والفوز بالجنة والنجاة من النار.



١- انظر «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» لابن سعدي (ص ٦٩-٩٠).

مذهب أهل السنة في الإيمان: أمَان من مذاهب الخوارج والمرجئة

المسألة الثامنة: من تحقَّق بمذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان، فقد عافاه الله جل وعلا مِن الوقوع في مذهب الغُلات مِن الخوارج ومَن نحَا نحوهم مِن المعتزلة وغيرِهم، ومِن الوقوع في مذهب الجُفَاةِ من المُرجئة ومَن نحَا نحوَهم مِن الجَهميةِ وغيرِهم.

فإنَّ الدينَ الذي جاء به الرسول محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَسَطٌ بين غُلُوِّ الغالِين و جَفاءِ الجافِين،** والله جل وعلا يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣]، أي مِن أعدَلِ الناس وأَخْيَرِهم مِن بين سائر المِلَل[١]، وكذلك هم أهلُ السنة، فإنَّهم الأعدلُ مِن بين سائر النِّحَل، **إذْ لا هم في الغلُوِّ وقعوا، ولا هم في الجفاء سقطوا.**

خيـــرُ الأمـــورِ الوَسَـــطُ الوَســـيطُ
وشَـــــرُّها الإفـــــراطُ والتَّفـــــريطُ

١- انظر «المحرَّر الوَجيز» لابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ اللهُ (١/ ٢١٩).

وما أحسنَ عبارةَ الإمامِ المُزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نَعت أهلِ التوَسُّطِ في الاتِّباع، ومُجانَـبَتِهم سبيلَ أهلِ الجَفاءِ والغلوِّ والابتداع، حين قال في «شرح السنة»[١]: «لم يَرغَبوا عن الاتِّباع فيُقَصِّروا، ولم يُجاوِزوه تَزَيُّدا فيَعْتَدُوا». انتهى.

ونحوُه قولُ الخليفةِ العادلِ الصالحِ عُمرَ بنِ عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لرَجُلٍ سأله عن القَدر، فقال له: «فارضَ لِنَفْسك ما رَضِيَ به القَومُ لأَنفُسِهم، فإنَّهُم على علم وَقَفوا، وبِبَصَرٍ نافِذٍ كَفُّوا، وهُم على كَشْفِ الأُمُورِ كانُوا أَقْوَى، وبفَضْلِ ما كانُوا فيه أوْلَى، (...) **فما دُونَهُم من مَقْصَر، وما فَوقَهُم من مَحْسَر، وقد قَصَّرَ قَومٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وطَمَحَ عنهم أقوامٌ فغَلَوْا، وإنَّهُمْ بين ذلك لعلى هُدًى مُستقيم**».[٢]

١- (ص ٨٩). وانظر شرحي لهذه العقيدة المسمى «واسعة المنة»، ففيه مزيد بيان لهذا الأصل.



٢- رواه أبو داود (٤٦١٢)، وغيرُه، وصحَّحه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٦١٢).

العافية تكون بالبعد عن طغيان الغلاة وروَغان الجفاة

المسألة التاسعة: لما ظهر رأيُ الخوارج الغالين الذين يقولون: (إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومن ترك فعل شيء من الطاعات أو ارتكب شيئاً مِن الكبائر فإنَّه يكفر)، **قابَلَهم الجفاةُ فقالوا:** (الإيمان يصِحُّ بلا عمَل، وهو لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضَل أهلُه فيه، ومَن فعل ذنباً لا يَضرُّه ذلك الذنب)، **وهؤلاء هم المرجئة**، الذين اتَّفقوا على تأخير العملِ عن مُسمَّى الإيمان.

وكما أنَّ الغُلوَّ في باب التكفير جِنايَةٌ وبَغْيٌ، فكذلك نَفيُ التَّكفيرِ نَفيًا عامًّا جِنايَةٌ وبَغْيٌ، فإنَّ السَّلَفَ كما أغلَظوا على الخَوارج، فإنَّهم كذلك أغلظوا على المُرجئة القائلين بأنَّ مُرتكِبَ الكبيرة مؤمنٌ كامِلُ الإيمان، حتى قالوا:[١]

والنَّـــاسُ في الإيمـــانِ شـــيءٌ واحِـــدٌ

كالـــمُشْطِ عنـــد تماثُـــلِ الأســـنانِ

وإلى هذا المعنى أشارَ ابن أبي العِزِّ الحنَفِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[٢]، لما قال مُعَلِّقًا على كلام الطَّحاوي: «**ولَا نُكَفِّرُ أحَدًا مِن أهْلِ القِبلَةِ بذنْبٍ، ما لم يَسْتَحِلَّه، ولا نقول لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذنْبٌ لِمَن عَمِلَه**»: «واعلم أنَّ بابَ التكفير وعدم

١- انظر «نونية ابن القيم» (ص ٨).

٢- «شرح الطحاوية» (ص ٢٢٤)، باختصار.

التكفير، باب عَظُمَت الفِتنةُ والمِحنةُ فيه، وكَثُر فيه الافتراق، وتَشَتَّتت فيه الأهواءُ والآراءُ، وتعارَضت فيه دلائلُهم.

فالناس فيه على طرفين ووَسَط:

فطائفة تقول: لا نكفِّر مِن أهلِ القِبلة أحدا، فتَنفي التكفيرَ نفيًا عامًّا، مع العلم بأنَّ في أهلِ القبلة المنافقين، الذين فيهم مَن هو أكفرُ مِن اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضا: فلا خلاف بين المسلمين أنَّ الرَّجُلَ لو أظهر إنكارَ الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرَّمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يُستتاب، فإنْ تاب، وإلَّا قُتِل كافرًا مرتدًّا...

ولهذا امتنع كثيرٌ مِن الأئمَّة عن إطلاق القول بأنَّا لا نكفِّر أحدًا بذنب، بل يُقال: «**لا نكفِّرُهم بكُلِّ ذنب، كما تفعلُه الخوارج**».

وفرْقٌ بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنَّما هو نفيُ العموم، مناقضَةً لقول الخوارج الذين يكفِّرون بكُلِّ ذنب». انتهى المراد من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأجزَلَ له المثوبة.

وخلاصة هذا في قول ابنِ أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حائيته»[١]:

ولا تَعتقِـــــدْ رَأيَ الخَــــوارجِ إنَّـــــهُ
مَقـــالٌ لِمَـــنْ يهـــواهُ يُـــرْدِي ويَفْضَـــحُ

ولا تَـــــكُ مُرْجِـــــيًّا لَعُوبًـــا بدينِـــهِ
ألا إنَّمَـــا المُرْجِـــيُّ بالـــدِّينِ يَمْـــزحُ

١- وقد شرحتها بفضل الله شرحا موسَّعًا في كتاب سمَّيتُه: «نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتقاد»، ثم اختصرته لتعُمَّ فائدَتُه، وقد طبع المختصر بتقديم فضيلة الشيخ هشام الطاهري –نفع الله به–:



مدار عقيدة أهل السنة على أركان الإيمان الستة

المسألة العاشرة: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان أركان الإيمان: «**أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخِر، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**» صريحٌ بأنَّ مَدارَ عقيدةِ المسلمين على هذه الأركان الستة.

وقد ذكَرها اللهُ في مواضعَ من كتابه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة: ١٧٧]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٣٦]، وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٣ – ٤]، **والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به:** من الملائكة، والأنبياء، والكتاب، والبعث، والقدر، وغيرِ ذلك من تفاصيلِ ما أخبروا به مِن صفات الله تعالى وصفات اليوم الآخر، كالميزان والصراط، والجنَّة، والنار.(١)

١- انظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٥).

اتفاق الأنبياء على هذه الأصول الستة وأهمية بناء كتب العقائد عليها

المسألة الحادية عشرة: اتفَّق الأنبياء والمرسَلون عليهم السلام على هذه الأصول، ولم يؤمن بها حقيقةَ الإيمان إلَّا أتباعُ الرُّسُل.[١]

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[٢]

وكـــذاك نقْطَـــعُ أنَّهـــمْ أيضًـــا دَعَـــوْا
للخَمْـــسِ وهْـــي قواعـــدُ الإيمـــانِ
إيمانُنـــــا بـــــالله ثـــــمَّ برُسْـــــلِهِ
وبكُتْبِـــــهِ وقِيامَـــــةِ الأبـــــدانِ
وبجُنْـــدِهِ وهُـــمُ الملائكـــةُ الأُلَـــى
هُـــمْ رُسْـــلُهُ لمصـــالِحِ الأكـــوانِ
هـــذِي أصـــولُ الـــدينِ حقًّـــا لا أصـــو
لُ الخَمْـــسِ للقاضـــي هـــو الهَمَـــداني

١- انظر «شرح الطحاوية» (ص ٢٠٨).

٢- «النونية» (ص ٨٥). وانظر «شرح الهراس» (١/ ٢٢٧-٢٣٠)، وفيه: «وهذه الخمسة هي أصول الدين الحقة التي جاءت بها رسل الله ودعَوا إليها، لا تلك الأصول الخمسة التي اتفقت عليها المعتزلة، وجعلوها شعارًا للاعتزال». انتهى.

المسألة الثانية عشرة: أحسنُ ما تُـرَتَّبُ عليه كتبُ العقائد ترتيبُ جواب النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيُبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلَّق بذلك، ثم الكلام على الملائكة، وهكذا إلى الكلام على القدر.[1]

١- انظر «شرح الطحاوية» (ص ٣٥٨-٣٥٩).

الركن الأول: الإيمان بالله

أوَّلُ رُكن من أركان الإيمان هو الإيمان بالله، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَرِّفًا الإيمان: «**أنْ تُؤمِنَ بالله**».

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، سنذكرها في مسائل:

الإيمان بوجود الله، خلافًا لمن انتكسَت فطرتُه

المسألة الأولى: الإيمان بوجود الله جل وعلا، فإنَّ مَن أنكَرَ وجودَ الله فليس بمؤمن أصلا، بل هو ملحِدٌ كافر.

ومِن المعلوم أنَّ العالَمَ وما نُشاهِده من الكائنات ممكن، أي: جائز الوجود والعَدَم، وذلك لأنَّا نراه يتحوَّلُ من عدمٍ إلى وُجود، ومن وجودٍ إلى عَدَم، وهذا التغيُّر والتَّحوُّل دليلُ إمكانه، وحيث ثبت أن العالم ممكن، فلا بد له من مُوجِد، وهذا المُوجِد واجِبٌ، وهو الله تعالى.

وقد أرشدنا الله تعالى إلى ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥]، فقد أنكر سبحانه أن يكونوا قد خُلقوا بلا خالق، وأن يكونوا قد خَلقوا أنفسَهم، فإذن لا بدَّ لهم من خالق موجود مغايِرٍ لهم، وهو الله تعالى.

ومن ذلك يتَّضِحُ اتِّفاقُ الفِطرةِ والعقلِ السَّليم والسمعِ على أنَّ العالَمَ محتاجٌ إلى صانِع، ومستنِدٌ إلى موجِد أوجدَه.

وحين تَعامَى فرعونُ عن الحقِّ الذي جاء به موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وتجاهَلَ ما استَيقَنَتْه نفسُه، وأنكر بلسانه ما شهِدَت به الفطرة، ودلَّ عليه العقلُ مِن وجودِ واجب الوجود[1]، فأقام موسى عليه الحُجَّة، بدلالة الأثَر على المؤثِّر، والصَّنعة على الصانِع، ووجود العالَم، وعِظَم خَلقِه على وجود الخالِق، وعظيم قدرتِه، وسِعَةِ علمِه، وكمالِ حِكمته، فغَلَبَه بحُجَّته.

وذلك بيِّنٌ واضِحٌ فيما حكاه اللهُ عنهما من الحِوار، والسؤال، والجواب:

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾[الشعراء: ٢٣ - ٢٩].[2]

قلت: وتأمَّل كيف مالَ فرعونُ إلى خطاب العُنف والتَّهديد والسِّنان، حين انقطَع في الحجَّة وخُصِمَ في البيان.[3]

١- انظر بحثًا حول معنى «الممكِن» و«واجِب الوجود» في كتاب «الألفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الربوبية» لآمال بنت عبد العزيز العمرو (ص ٢٧٥-٢٨٢).

٢- انظر «مذكِّرة التوحيد» للعلامة عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٣-٢٢).

٣- وانظر كلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التحرير والتنوير» (١٩/ ١٢١).

الإيمان بربوبية الله لكل المخلوقات

المسألة الثانية: الايمان بربوبية الله، وهو إيمانٌ بأفعال الله جل وعلا، وأنَّه جل وعلا خالقٌ مالكٌ مدبِّرٌ قادرٌ قديرٌ رازِقٌ مُقتِدر، محيي ومميت سُبْحَانَهُوَتَعَالَى...

الإيمان بألوهية الله، وأنَّه لا معبود بحقٍّ سواه

المسألة الثالثة: الإيمان بألوهية الله، وهو إيمانٌ باستحقاق الله تعالى للعبادة، فكما أنَّه جَلَّجَلَالُهُ هو الخالق الرازِق المالِك المدبِّرٌ المقتِدر، فهو كذلك هو المعبودُ وحدَه حقًّا، والمألوهُ وحدَه صِدقًا، سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وكلُّ عبادةٍ لمن سواه فهي شِركُ وتنديد، وكُفر ناقِلٌ عن مِلَّة التوحيد.

يقول العلامة ابن عدُّود رَحِمَهُٱللَّهُ:[١]

وبالـرُّبوبيَّـــــــــــةِ وَحِّـــــــــــدوهُ
فهْـــوَ الـــذي تَـــعْنُو لـــهُ الوُجُـــوهُ
لا تَجعَلـــــوا إذا دَعوتـــــمْ وُسَـــــطَا
بـــينكُمُ وبَينَـــهُ فهْـــوَ خَطَـــا

١- «مجمل اعتقاد السلف» (٢٨).

معرفة الله أجلُّ المعارِف وتزداد بتدبُّر القرآن

المسألة الرابعة: الإيمان بأسماء الله وصفاته، وهو أنَّ هذا الرَّبَّ الذي أثبتَّ وجودَه، وأثبتَّ له القدرة والمُلك، وصرفتَ له عباداتِك، له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وعلى قَدْر معرفتِك به يكون حبُّك وتعظيمُك له، **فإنَّ مَن كان بالله أعرَف، كان له أتقى وأخشى وأخوَف**، قال جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، أي لا يخشاه الجهال، وإنَّما يخشاه العلماء، وعلى حسب مقدار علمهم بالله وشريعته تقوى خشيتهم لله جَلَّجَلَالُهُ.(١)

المسألة الخامسة: كما أنَّ معرفةَ الله والعلمَ بأسمائه وصفاتِه وأفعالِه أجلُّ علوم الدين كلِّها، **فمعرفتُه أجلُّ المعارف، وإرادةُ وجهِه أجلُّ المقاصد، وعبادتُه أشرَفُ الأعمال، والثناءُ عليه بأسمائه وصفاتِه ومدحُه وتمجيدُه أشرَفُ الأقوال**، بل ذلك أساسُ الحنيفية ملَّة إبراهيم.(٢)

وعلى قدْر تدبُّر القرآن الكريم يحصُل للمَرء مِن العِلم بالله وصفاتِه وشَرعه شيء كثير، كما قال جُندب بن عبد الله البجَلي وغيره من الصحابة

١- انظر «التحرير والتنوير» (٢٢/ ٣٠٤).

٢- انظر «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٩٥).

وفي كتابي «مرابع الإحسان»، و«شرح منظومة السير إلى الله» مزيد بيان لهذا الأصل.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «**تعلَّمنا الإيمانَ ثم تعلَّمنا القرآنَ فازددنا إيمانا**»[١]، ويُستفادُ من هذا أنَّ القرآن يزيد الإيمان، ويتنوَّر به القلب، وينشرِح به الصَّدر.[٢]

١- رواه ابن ماجه (٦١)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه». وانظر «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٨).

٢- انظر «مشارق الأنوار الوهاجة» للعلامة الإثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٢٥٥)، و«شرح النونية» للهرَّاس (٢/ ٢٢٦)، و«شرح عقيدة ابن سعدي»، للمؤلف.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

ثم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وملائكَتِه**».

وهذا هو الركن الثاني من أركان الإيمان، **والكلام عليه في مسائل:**

أصل كلمة «ملائكة» في اللغة

المسألة الأولى: لفظ الملائكة جمع «مَلْأَك»، من الأَلوك أو الأَلوكة وهي الرسالة.

يقال: أَلِكني إلى فلان، يراد به أرسِلني إلى فلان، كما قال أبو ذُؤيب الهُذَلي:

أَلِكْنِـــــي إليهــــا و خيـــرُ الرســـــو
لِ أعلمُهـــــــم بنَـــــواحي الـخَـبَـــــرْ

ويُقال: أَلِكْني إليه، أي كن رسولي إليه، ومنه قول ابن أبي ربيعة:

أَلِكْنِـــــي إِليهـــــا بالسَّـــــلامِ فإنَّـــــهُ
يُنَــــكَّرُ إِلـمـــــامي بهَـــــا ويُشهَّـــــرُ

أي بلِّغها سلامي، وكن رسولي إليها.

والمَلك مشتقٌّ منها، وأصله «مأْلَك»، ثم قُلِبَت الهمزةُ إلى موضِع اللَّام فقيل «ملْأَك»، ثم خُفِّفت الهمزةُ بأنْ ألقِيَت حرَكتُها على الساكن الذي قبلَها

فقيل «مَلَك».[١]

خُلِقت الملائكة من نور، وهم عباد مُكرَمون لربِّهم طائعون

المسألة الثانية: الملائكة خَلق من عِباد الله، خلَقهم اللهُ جل وعلا مِن نور، كما في «صحيح مسلم»[٢] من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أنَّ النبيَّ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**[٣]**، وخُلِقَ الجانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**».

والملائكة خَلقٌ مُكرَمون، لربِّهم طائعون، ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾[الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وهم يُنَفِّذون أمرَه، ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾[الأنبياء: ٢٧]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[النحل: ٥٠].

١- انظر «لسان العرب» (١٠/ ٣٩٤)، و«تاج العروس» للزبيدي (٢٧/ ٤٨).

٢- (٢٩٩٦). وانظر «عالم الملائكة الأبرار» للأشقر (ص ٩)، و«الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين» للإمام (ص ٥).

٣- قال في «المفهم» (٧/ ٣١٥): «فكانوا (أي بذلك) خيرًا محضا». انتهى.

مِن وظائف الملائكة

المسألة الثالثة: خلَق اللهُ جل وعلا الملائكةَ لعبادته، ولـمَهامَّ ووظائفَ خاصةٍ بحسب ما هيَّـأَهم له ووَكَّلَهم به[١]، ومِن ذلك:

تبليغ الوحي، وإنزال القَطْر، و إنبات الشجَر والثمر، ونفخ الروح في الرَّحِم، وحفظ أعمال العباد، و قبض الأرواح، وسؤال الناس في قبورهم، وحمل العرش، وغير ذلك من الوظائف الجليلة التي جاء تفصيلُها في القرآن والسنة.

فما مِن أحَدٍ مِن الملائكة الكرام إلَّا له مقامٌ وتدبير قد أمَرَه اللهُ به، لا يتعدَّاه، ولا يتجاوَزُه، وليس لهم مِن الأمر شيء، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[الصافات: ١٦٤].[٢]

١- وقد قيل في معنى المَلَك لغةً أنَّه مشتقٌّ من الأخذ والقوة، ومناسبة ذلك أنَّ الملائكةَ أولو قوة وشدة في القيام بأداء ما أوكل اللهُ إليهم القيام به. انظر «موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٧٩٥).

٢- **انظر وظائف الملائكة مع ذكر الأدلة في عدة كتب، منها -في المعاصرين-:** «أعلام السنة المنشورة» (ص ٤٢)، و«معارج القبول» (٢/ ٦٥٨-٦٧١)، «عالم الملائكة الأبرار» (ص ٧٩-٨١)، و«الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين» (ص ٣٨-١٠٧)، و«أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» لنخبة من العلماء (ص ١١٣-١١٩)، و«موسوعة العقيدة» (٢٨٠٥-٢٨٠٩).

عدد الملائكة كبير، ولا يُحصيه إلَّا الكبير سبحانه

المسألة الرابعة: الملائكة خَلقٌ كثير لا يُحصيهم كثرةً إلا الله الذي خَلقهم[1]، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[المدثر: ٣١]، ولتعلَم كثرَتهم تأمَّل قولَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيت المعمور الذي في السماء السابعة حيث قال عنه: «**وإذَا هُوَ يَدخُلُه كُلَّ يومٍ سَبعُونَ ألفَ مَلَكٍ لا يَعُودُون إليه**»[2]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واصِفًا بعضَ أهوالِ يومِ القيامة: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[3]، فيكون عددُ الذين وُكِّلوا بجَرِّ النارَ إلى أرض المَحشر قريبًا من خمسة مليارات ملَكٍ (٤,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠)!!

١- انظر «الحبائك في أخبار الملائك» للسيوطي (ص ١١-١٦).

٢- رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢)، وهذا لفظه.

٣- رواه مسلم (٢٨٤٢).

من صفات الملائكة: الحُسن والجمال

المسألة الخامسة: مِن صفات الملائكة أنَّهم يتفاوتون في الخَلق والمقدار، فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح -كجبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[فاطر: ١].

ومِن صفاتهم الحُسن والجمال، فهم على درجة عالية مِن ذلك، قال تعالى في حقِّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[النجم: ٥ – ٦]، والمِرَّةُ: هي الصِحَّة والسَّلامة مِن الآفات والعاهات الظاهرة والباطنة، وذلك يستلزم كمال الخِلقة وحُسنَها وجَمالَها.[١]

وقال تعالى مخبِرًا عن النِّسوة عند رؤيـتِهن ليوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١]، وإنَّما قُلْنَ ذلك لما هو مقرَّرٌ عند الناس مِن وَصف الملائكة

١- «إغاثة اللهفان» (٢/ ٨٤٦).

بالجمال الباهر، والحُسن الظاهر.[١]

وهم خِلقة عظيمة لا يعلَم قدرَها إلا اللهُ الذي صوَّرهم، كما جاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِن مَلائِكَةِ الله مِن حَمَلَةِ العَرْشِ، إنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**».[٢]

١- انظر «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص ١٠١)، و«موسوعة العقيدة» (٢٧٩٨-٢٧٩٩)، وكتابي «واسع المنة في التعليق على شرح السنة».

٢- رواه أبو داود (٤٧٢٩)، وغيرُه، وصَحَّحَه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥١).

كيف أكون مؤمنًا بالملائكة؟

المسألة السادسة: يتضمَّنُ الإيمان بالملائكة أمورًا:[١]

أولها: الإيمان بوجودهم، مع أنَّهم غيب مَحْضٌ.

وثانيها: الإيمان بأنَّهم ليسوا بناتِ الرحمن كما زعَم المشركون، وقد ردَّ الله هذه الفرية عليهم في عدة آيات، منها قولُه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾[الزخرف: ١٥ – ١٩].

وثالثها: الإيمان بأنَّهم خلقٌ مُعَبَّدونَ لله لا يُعبَدون، فإنَّ مَن عبَد الملائكة فقد أشرك بالله جلَّ في عُلاه، لأنَّ العبادة لا تُصرَفُ إلا لله، ولا تكونُ للنبيِّ والملَك، فضلًا عن الشجر والحجَر والفلَك.[٢]

ورابعها: الإيمان بأسماء ووظائفِ مَن علِمنا منهم، كجبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –

١– انظر «شعب الإيمان» للبيهقي (١/ ٢٩٦)، و«الحبائك في أخبار الملائك» (ص ٩–١٠).

٢– وانظر مزيد تفصيل في كتابي: «الشرح الميسَّر المفيد على أربع قواعد في التوحيد»، يسَّر الله طبعَه.

وهو أعظمهم وسيِّدهم ووَلِيُّ جميعِ الأنبياء[١]- أمين الوحي، وإسرافيلَ الذي ينفخ في الصور، وميكائيلَ المؤكَّل بالنبات والمطر، ومالكٍ خازنِ النَّار، ومنكَر ونكير اللذين يسألان النَّاسَ في قبورهم[٢]، ومَن لم نعلَم أسماءهم تفصيلًا نؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن بوظائفهم وإنْ جهِلنا أسماءهم.

١- قال السلف: «**منزلة جبريل مِن ربه منزلة الحاجِب مِن الملِك**». «إغاثة اللهفان» (٢/ ٨٤٤).

٢- وسيأتي مزيد تفصيل لسؤال المَلكين، ومتى يكون، ومَن يعافيه الله من ذلك السؤال، وغير ذلك من المسائل، حين الكلام عن الركن الخامس وهو «الإيمان باليوم الآخر»، إن شاء الله تعالى.

وجه ذكر الإيمان بالملائكة قبل الكتب والرسُل

المسألة السابعة: ذكر بعض أهل العلم[١] أنَّ تقديم ذِكر الملائكة على الكتب والرسل وقع اتِّباعًا للترتيب الواقع، **فإنه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **أرسل الملَك بالكتاب إلى الرسول**، لا تفضيلًا للملائكة على الرسُل، فإنَّ فيه خلافًا مشهورًا، ولا على الكُتب، فإنَّه لم يقُل به أحد.

١- انظر «شرح المشكاة» للطيبي (٢/ ٤٢٥)، وعنه ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١١٧).

الركن الثالث: الإيمان بالكتب

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «و كُتُبِه».

والإيمان بالكتب السماوية هو الركن الثالث من أركان الإيمان، **والكلام عليه في مسائل:**

أدلة الإيمان بالكتب

المسألة الأولى: دليل الإيمان بالكتب قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[النساء: ١٣٦]، وقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[الشورى: ١٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[غافر: ٧٠]، وغير ذلك من الآيات.

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو قبل نومِه قائلًا: «**اللهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ ورَبَّ الأرضِ ورَبَّ العَرشِ العظيم، رَبَّنا ورَبَّ كُلِّ شيءٍ، فالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، ومُنْزِلَ التَّوراةِ والإنْجيلِ والفُرْقانِ، أعوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شيءٍ أنْتَ آخِذٌ بناصِيتِه**»، الحديثَ.

١- (٢٧١٣).

اتِّفاق الكتب السماوية في المصدر والغاية

المسألة الثانية: الإيمان بالكتب يتضمَّنُ أمورا:[١]

أولها: التصديق الجازِم بأنَّها جميعًا منزلَّةٌ مِن عند الله جلَّ وعلا على رسُله إلى عباده بالحقِّ المبين والهدى المستبين، **فهي متَّفِقَةٌ:**

- **في المصدر،** لأنَّها مِن عند الله،
- **والغاية،** وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، والتحلِّي بالفضائل والتخلِّي عن الرذائل، كما اتَّفَقت على حِفظ الضروريات الخمس.[٢]

وثانيها:الإيمان بأنَّها كلامُ الله جَلَّجَلَالُهُ ليست كلامَ غيرِه، وأنَّ الله تعالى تكلَّم بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أراد[٣]، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ

١- انظر «معارج القبول» (٢/ ٦٧٢)، و«شرح الأربعين» لابن عثيمين (ص ٤٤)، و«أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (١٣١-١٣٧)، و«موسوعة العقيدة» (٢٤٥٦-٢٤٥٧).

٢- وهي: **حِفْظ الدين، والنَّفس، والنَّسل، والمال، والعقل.** انظر مقدمة كتابي «مقصَد حِفظ النَّسل»، وهو بحث التخرُّج المقدَّم في مرحلة البكالوريوس بـ«جامعة المعرفة العالمية»، قسم الشريعة.

٣- وهذه هي عقيدة أهل السنة المجمع عليها، وسيأتي مزيد بيان لهذا الأصل قريبا بإذن الله.

حَكِيمٌ ﴾[الشورى: ٥١].

فهذه الآية -على قلة ألفاظها- جمعت أنواع الوحي من الله لأنبيائه:[١]

- فقوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: الإلهام أو في المنام، فرؤيا الأنبياء حق ووحي.
- وقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: مباشرة كما كلَّم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلَّم نبيَّنا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ المعراج، فلا يَرى النبيُّ ربَّه، لكن يسمعُ كلامَه.
- وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: أي من الملائكة، كجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأشار إلى هذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله[٢]:

وحقيقةُ الإرسالِ نَفْسُ خِطابِهِ
للمُرسَلين وأنَّه نوعانِ
نوعٌ بغيرِ وَساطةٍ ككلامِهِ
موسى وجبريلَ القَريبِ الدَّاني
منهُ إليهِ مِن وراء حِجابِهِ

١- انظر «التمهيد» (٢٢/ ١١٤)، و«المفهم» (١/ ٤٠٥)، و«بصائر ذوي التمييز» (٥/ ١٨٠)، و«المحرَّر في علوم القرآن» للطيَّار (ص ٦٢).

٢- «النونية » (ص ٤٧).

إذْ لا تـــــراهُ هـــــا هُنـــــا العَينـــــانِ

والآخَـــــرُ التَّـــــكليمُ منـــــه بالوَســـــا

طـــــةِ وهْـــــوَ أيضًـــــا عنـــــدهُ ضَـــــرْبانِ

وحْـــــيٌ وإرســـــالٌ إليـــــهِ **وذاك في الشُّـــــ**

ـــــورى أتَـــــى في أحسَـــــنِ التِّبيـــــانِ

موقفنا ممَّا وقع مِن تحريف في كتب اليهود والنصارى

المسألة الثالثة: مِن إيماننا بالكتب أنْ نؤمن بأنَّ الموجودَ في أيدي اليهود والنصارى مِن الكتب اليوم هي مِن عند الله أصالةً، وكان واجِبًا عليهم اتباعُها، فإنَّ مِن معاني كلمة «الكتاب» في لغة العرب: الفرضُ والإلزام، وفي هذا إشارة إلى أنَّ ما في الكتب المنزَّلة مِن أحكام شرعيَّة فإنَّه مفروض على أقوام الرسُل الذين أُنزِلت عليهم.(١)

ولكنَّها اليومَ محرَّفة ومُبدَّلة، فهي حقٌّ باعتبار أصلها الذي جاء مِن عند الله، وباطل باعتبار ما آلَت إليه بعد تحريف أهل الكتاب لها، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[المائدة: ١٣]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة: ٧٩].

قال العلامة محمد المكي بن عزُّوز رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «التوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ وغيرُها مِن الصُّحف الإلٰهية، كلُّها كلامُ الله مثلُ القرآن، إلَّا

١- انظر «موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٤٥٦).

٢- «عقيدة التوحيد الكبرى» (ص ٣٥).

الكلمات التي حرَّفوها، وحيث كان حَصرُها مجهولًا فنقول في تلك الكتب إجمالًا: **آمنَّا بما جاء مِن عند الله**». انتهى.

ومِن إيماننا بالكتب أنْ نؤمن بصِحَّة ما فيها مِن أخبار كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدَّل أو يحرَّف مِن الكتب السابقة، فإنَّ الأخبار لا نَسخَ فيها، وأما الأحكام فإنَّ اللهَ يشرعُ في زمان ولقوم ما لا يناسِب غيرَهم في زمن آخر، والكلُّ بحكمة الله وعلمه.

وأكثرُ التحريف الذي وقع عند أهل الكتاب إنَّما هو في معاني الكتب وشرائعها -عند ترجمتها أو تفسيرها أو شرحها أو تأويلها-، عَمْدًا أو خطأً، ووقع أيضا في بعض ألفاظها وحروفها أو كثير منها زيادةً ونقصًا.[1]

قال ابن عطية الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**وتحريف الكَلِم على وجهين**:

إما بتغيير اللفظ، وقد فعلوا ذلك في الأقل،

وإما بتغيير التأويل، وقد فعلوا ذلك في الأكثر، وإليه ذهب الطبري، وهذا كلُّه في التوراة على قول الجمهور». انتهى.

المسألة الرابعة: **مِن إيماننا بالكتب أنْ نؤمن بما فيها مِن أحكام إذا لم تخالف**

١- انظر للفائدة «الجواب الصحيح» (٥/ ١٢٣)، و«فتح الباري» (١٥/ ٥٢٣)، وخلاصة الأقوال في «موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٤٦٣).

٢- «المحرر الوجيز» (٢/ ٦٢).

الشريعة، على القول بأنَّ شرعَ مَن قبلنا شرعٌ لنا -وهو الحق- إذا لم يرِد شرعُنا بخلافه.

المسألة الخامسة: علينا أن نؤمن بما علِمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزَّبور وصحف إبراهيم وصحف موسى، عليهم السلام.

وقد ذُكرت هذه الكتب السماوية -خلا صُحُفِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- في حديث واحد رواه واثِلَةُ بنُ الأسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ أَوَّلَ لَيلَةٍ مِن شَهْرِ رَمَضانَ، وأُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِن رَمَضانَ وأُنزِلَ الإنجِيلُ لثَلاثَ عَشْرَةَ مَضَت مِن رَمَضانَ، وأُنْزِلَ الزَّبُورُ لثَمانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن رَمَضَانَ، وأُنْزِلَ القرآنُ لأرْبَعٍ وعِشْرِينَ خَلَتْ مِن رَمَضانَ**».(١)

١- رواه أحمد في «المسند» (١٦٩٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨٥)، والبيهقي في «السنن» (١٨٦٤٩)، وضعَّفه محققو «المسند» (ط. الرسالة)، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٥).

القرآن خاتمها وأعظمها، وهو ناسخ لما قبله

المسألة السادسة: مِن إيمانك بالكتب الإيمانُ بأنَّ القرآن خاتمها، وأعظمها، وأشرفها، والمُهيمِنُ عليها، والناسخُ لها ولشرائعها، والجامع لأصولها ومحاسنها، والمَحفوظ من عند الله فيها، والمعمول به إلى قيام الساعة، وتأصيل هذا وبيانه في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، ومن معاني كلمة «المهيمن»: الأمين والشاهد والمؤتمَن، **والمعنى أنَّ القرآن أمينٌ فيما ينقُل إلينا** مما في الكتب المتقدِّمة على حقيقته من غير تحريف ولا زيادة ولا نقصان، لأنَّ الأمين على الشيء مصدَّق عليه، **وكذلك الشاهد، فهو مقبولُ القول فيهم.**(١)

وعليه، فإنَّ إيماننا بالكتب السابقة إنما هو إقرار بها بالقلب واللسان، وأما القرآن فيتعيَّنُ على كل مكلَّف الإقرار به قلبًا ولسانًا، مع الانقياد لأحكامه.

١- «أحكام القرآن» للجصَّاص الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤/ ٩٧)، بتصرف واختصار.

كلام الله منزَّل غيرُ مخلوق

المسألة السادسة: **اعلم -نوَّر اللهُ قلبك بالإيمان- أنَّ أهلَ السنة والجماعة يعتقِدون** أنَّ اللهَ جلَّ وعلا يتكلَّمُ حقيقةً لا مجازًا، وكلامه غيرُ مخلوق، لأنَّ الكلامَ صفةٌ ذاتيَّة له من حيثُ النَّوع، باعتبار اتِّصافه بها أزلًا، فإنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يَزَل مُتَـكَلِّمًا، وهي فِعليَّة له من حيثُ الأفراد، باعتبار تعلُّقها بالمشيئة والإرادة، فإنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ يتكلَّمُ بما شاءَ، متى شاء، كيفَ شاء.

والكلامُ صِفَة قائمَةٌ به تعالى، فلا تقُوم بغيره خلافًا لأهل البدع، وكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَسموعٌ بالآذان حَقيقَةً من غير تَوَهُّمٍ، والقرآنُ كلامُ الله حقيقَةً، لَفظًا ومعنًى، وكما أنَّ اللهَ ليس كمثله شيء، فكذلك كلامه ليسَ ككلام خَلقه، وصَوتُه جَلَّجَلَالُهُ ليسَ كأصوات خَلقِه.

قال الإمام السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**فالإجماع منعَقِدٌ بين العقلاء على كَوْن الكلام حَرفاً وصوتاً**». انتهى.

١- «رسالة في الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص ١١٨).

الفرق بين الكلام الكوني والشرعي

المسألة السابعة: القرآن بَعضُ كلام الله، لأنَّ كلام الله لا حَدَّ له، منه كلامه الشرعي ومنه كلامه الكوني.

والكلام الكوني كقوله سبحانه: «كن»، الذي يُكوِّنُ به المخلوقات.

والكلام الشرعي: أمرُه ونهيه، ككتبه السماوية -التي نحن بصدد الكلام عنها-، **وأعظمُها القرآن الكريم، وهو:**

«**كَلَامُ الله، مُنَزَّلٌ غَيرُ مَخلُوق، منه بَدَأَ، وإلَيه يَعُود**».

ومعنى هذه العقيدة المجمَع عليها أنَّ **القرآن كلامُ الله حَقيقةً، مُنَزَّلٌ من عندِه سُبحانه،** «**منه بدأَ**» من الابتداء، **أو** «**منه بدا**» من البُدُوِّ: أي الظهور، لقوله تعالى:﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ١٩٢]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾[الإسراء: ١٠٥]، أي القرآن، «**وإلَيه يَعُود**»: أي يرجِـع إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أي يوصف الله به، وقيل: إنَّ المراد بذلك ما ورَد مِن أنَّ مِن أشراط السَّاعة أن يُرفع القرآن من الصُّدور والمصاحف، والمَعنَيان صحيحان.[1]

وهذه العقيدة مجمَعٌ عليها بين المُسلمين، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر

١- وقد تكلَّمتُ في هذا الأصل وغيره من مسائل العقيدة -بإفاضة- في عدة كتب منها: «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة»، و«نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتقاد».

رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والـمَنقُولُ عن السَّلَفِ اتِّفَاقُهُمْ على أنَّ القُرْآنَ كلامُ الله غَيرُ مَخلُوقٍ، تلَقَّاهُ جِبريلُ عن الله، وبَلَّغَهُ جِبريلُ إلى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبَلَّغَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى أُمَّته». انتهى.

١- «فتح الباري» (١٣/ ٥٧٣).

الكلام هو اللفظ والمعنى، والكلُّ غير مخلوق

المسألة الثامنة: كلام الله -في الحقيقة- هو اللَّفظ والمعنى[١]، فكما أنَّ المعنى غيرُ مخلوق، فاللَّفظ كذلك غيرُ مخلوق.

فإنَّنا إذا قلنا: اللَّفظ غيرُ مخلوق، ردَدْنا على الكُلَّابية والأشاعرة والماتريدية القائلين: إنَّ القرآن الذي بين أيدينا ألفاظُه مخلوقة، ومعناه النَّفسي القديم غير مخلوق.

وإذا قلنا: المعنى غيرُ مخلوق، ردَدْنا على الجهمية والمعتزلة، القائلين صراحةً بخلق القرآن، وأنَّ كلامَه سبحانه شيء منفَصِلٌ عنه، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرا.

وبهذا تعلَمُ أنَّه لا خلاف بين المعتزلة وبين الأشاعرة والماتردية والكلابية في أنَّ القرآنَ العربيَّ مخلوق، حتى قالوا: «القرآن قرآنان: قرآن بمعنى الكلام النفسي، وهو غيرُ مخلوق، وقرآن بمعنى الكلام اللفظي المركَّب مِن الحُروف والأصوات، وهو مخلوق».

وقالوا: «إن الله يخلق صوتًا فيُسمِعُ جبريلَ كلامَه النَّفسي بذلك الصوت المخلوق، فيحفظه جبريلُ وينقله إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وقرَّروا -أيضا- أنَّ القول بخَلق القرآن لا يُقال إلَّا في مقام التعليم! كما

١- انظر: «الفتاوى» (٦/ ٥٣٣)، (٧/ ١٣٢، وما بعدها).

صرَّح به البيجوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنَّا وعنه- لَّما قال[١]: «ومع كونِ اللَّفظ الذي نقرؤه حادِثًا (أي مخلوقًا)، **لا يجوز أن يُقال: القرآنُ حادِث إلَّا في مقام التعليم!؟**». انتهى.[٢]

١- «تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد» (ص ٨٢).

٢- ولقد أحسن الإمام السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحَرف والصوت» الردَّ على هذه العقيدة، وبيَّن أنه لا فرقَ بين عقيدة القائلين بالكلام النَّفسي وعقيدة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، بل هم أشدُّ تلبيسًا، وأخفى بدعةً.

الركن الرابع: الإيمان بالرسُل

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ورُسُلِه**».

ووقع في بعض الروايات[١]: «**أن تؤمِنَ بالله، والملائكةِ، والكتابِ، والنَّبيِّين**»، والتعبير بالنَّبيِّين يشمل الرسُلَ من غير عكس.[٢]

وهذا هو الركن الرابع من أركان الإيمان، **والكلام عليه في مسائل**:

حاجة الناس إلى بعثة الرسل

المسألة الأولى: الأنبياء والرُّسل هم خاصةُ خَلق الله، بعَثهم اللهُ جل وعلا لدعوة الناس إلى التوحيد والفضائل، وإنذارِهم عن الشِّرك والرذائل.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمِن أعظم نِعَم الله على عِباده وأشرف مِنَّة عليهم: أنْ أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبَه، وبيَّن لهم الصراط المستقيم، **ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشرَّ حالًا منها**، فمَن قبِل رسالةَ الله واستقام عليها فهو مِن خير البريَّـة، ومَن ردَّها وخرَج عنها فهو مِن شرِّ البريَّـة، وأسوأُ حالًا مِن الكلْب والخنزير والحيوان البهيم.[٣]

١- عند أحمد في «المسند» (٢٩٢٤)، والنسائي في «السنن الصغرى» (٤٩٩١).

٢- انظر «فتح الباري» (١/ ١١٨).

٣- «الفتاوى» (١٩/ ١٠٠). وانظر «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٨٦٤).

قال الناظم:[(١)]

وحاجـــــــةُ العِبـــــــاد للرســـــــولِ
لكـــــي يُنِـــــيرَ مـــــنهجَ الوُصـــــولِ
لربِّنـــــا الحميـــــدِ مِـــــن عقيـــــدة
صـــــحيحةٍ و شِـــــرعةٍ حميـــــدة
أشـــــدُّ مِـــــن حـــــاجتهمْ للأكـــــلِ
ولـــــم تَجِـــــب رســـــالةٌ بالعقـــــلِ

المسألة الثانية: دليل الإيمان بالأنبياء والرُّسل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة: ١٧٧]، وقولُ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تهجُّده: «**أنْتَ الحَقُّ ووَعْدُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ**».[(٢)]

١- وهو العلامة القاضي أحمد بن حجر آل بوطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفى سنة ١٤٢٣ هـ) في كتابه الجامع «العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية» (١/ ٣٠٠).

٢- رواه البخاري (١١٢٠).

تعريف النبي

المسألة الثالثة: النبيُّ لغةً: مشتقٌّ من النبأ وهو الخبر، فهو «نبيء»، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[النبأ: ١ - ٢]، والسبب أنه مُخْبَرمن الله بالوحي، وهو أيضا مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الحجر: ٤٩].

وقيل: هو مشتقٌّ من النَّبْوَة، أي: الرِّفعة، وسمّي النبيُّ بذلك لِرفعة محلِّه وقدْره عن سائر الناس، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: ٥٧].[١]

والنبيُّ اصطلاحا: من أوحى اللهُ إليه، وبُعثَ إلى قوم غير مخالفين في أصل الدين، أي: ليسوا كفارا.



١- انظر «مفردات القرآن» للراغب (ص ٧٩٠)، و«القاموس» (ص ٥٣)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» للمناوي (ص ٣٢١)، و«الرسل والرسالات» للأشقر (ص ١١ – ١٢).

تعريف الرسول

المسألة الرابعة: **الرسول لغةً**: من البعث وهو الإرسال والتوجيه، قال تعالى حاكياً قولَ ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[النمل: ٣٥]، وقد سُميَّ الرسول بذلك لأنَّه وُجِّه برسالة من قبل الله تعالى وكُلِّف بتبليغها للناس، قال جلَّ وعلا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[المؤمنون: ٤٤]، أي: بعثناهم يتبع بعضهم بعضا.[1]

والرسول اصطلاحًا: من أوحى اللهُ إليه، وبُعثَ إلى قوم مخالفين في أصل الدين، أي: كفار.

١- انظر «مفردات القرآن» للراغب (ص ٣٥٢)، و«الكليات» للكفوي (ص ٤٧٦)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (ص ١٧٧)، «الرسل والرسالات» (ص ١١ – ١٢).

الفرق بين النبي والرسول

المسألة الخامسة: يظهر بما تقدَّم أنَّ ثمَّةَ فُروقًا بين النبي والرسول، وهذه مسألةٌ أطال أهلُ العلم الكلامَ فيها، واختلَفوا فيها، **ومِن أحسن مَن فرَّق بين النبيِّ والرسول شيخُ الإسلام ابنُ تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**النبوات**»[١]، وخلاصة هذه الفروق[٢] راجعةٌ إلى أنَّ:

- **النبي يُرسله اللهُ إلى قومه المؤمنين الموافقين له في أصل الدين، ويعمل غالِبا بشريعة من قبله من الرسل**، فهو في قومه كالعلماء المبلِّغين الوارثين علم الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾[المائدة: ٤٤].
- **والرسول يُرسله اللهُ إلى الكفار المكذِّبين المخالفين له في أصل الدين، سواء أُرسل بشرعٍ ورسالةٍ جديدة، أو بشرع مَن قبله مِن الرسل**، كداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

١- (٢/ ٧١٤).

٢- انظر «موسوعة العقيدة» (٣/ ١٣٩٥).

وللشيخ محمد الإمام كتاب بعنوان: «تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول».

هل يؤمَر النبيُّ بالتَّبليغ؟

المسألة السادسة: القول المشهور -سيَّما عند المتأخرين-[١] بأنَّ الرسولَ: «من أوحي إليه بشرع وأُمر بالتبليغ»، والنبي: «من أوحي إليه ولم يُأمر بالتبليغ»، قول ضعيف لا يصح، لأنَّ التبليغَ إذا كان فرضًا على العلماء فكيف لا يكون على الأنبياء؟! وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج: ٥٢]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»[٢] دلالة على أن كلًّا منهما مرسَل، وأنَّهما مع ذلك متغايِران.[٣]

وقد حَمل بعضُ أهل العلم التبيلغ هنا على تبليغ خاص، لا مجرَّد إيصال العلم، ولقد أحسن العلامة صالح الفوزان -وفقه الله تعالى- في التفريق بين تبليغ الرسول وتبليغ النبي حين قال[٤]: «**والمراد بتبليغه هنا: الجهاد والإلزام،**

١- انظر «أعلام الحديث» للخطابي (١/ ٢٩٨)، و«المفهم» للقرطبي (٧/ ٤٠)، و«شرح الطحاوية» (ص ٨٢)، و«المعين على تفهم الأربعين» لابن الملقن (ص ٣٩)، و«شرح الشفا» للقاري (١/ ٥٣٥)، و«لوامع الأنوار» للسفاريني (١/ ٤٩).

٢- رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

٣- انظر «المفهم» (٧/ ٤٠)، و«أضواء البيان» (٥/ ٢٩٠)، و«الرسل والرسالات» (ص ١٤)، وفيه الرد على هذا القول من ثلاثة أوجه.

٤- انظر «إعانة المستفيد» (١/ ٣١١).

أي: **أُمر أن يُلزم الناس باتباعه**، ويجاهدهم على ذلك، **خلاف النبي فإنه يؤمر بالتبليغ، بمعنى: تعليم الناس** شرعَ مَن قبله وإفتائهم فيه، **وهذا مأمور به غير الأنبياء، حتى العلماء**». انتهى.

المسألة السابعة: بناءً على ما تقدَّم، يتَّضح أنَّ **كلَّ رسول نبي، وليس كلُّ نبي رسولا، وهذا مذهب جمهور العلماء**[١]، لأنَّهما وإن اشترَكا في أصل الإنباء بالوحي ومطلَق التبليغ، غير أنَّهما يختلفان في نوع التبليغ، ومَن يبلِّغون، مع ما بينهما من اختلاف في الشَّرع الذي يأتون به.

١- انظر «الشفا» لعياض (١/ ٤٨٨)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٨٠)، وكلام العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحديث ٢٦٦٨ من «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ٣٥٨-٣٦٩).

الرسُل: واسطة بين الحق والخلق

المسألة الثامنة: الأنبياء والرسل بشَر لا يُعبدون، إذْ هم لله عابِدون، وله مَرْبُوبون، ولهذا نقول: «**هم عبادٌ لا يُعبدون، ورسل لا يُكَذَّبون**»، فمَن عبَدهم فقد أشرَك بالله وكفر، ومن وحَّد الله واتَّبعَهم فقد فازَ وظفر.

وهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ كلامه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأسمائه وصفاته، وأنبائه.

وقد انقسم الناس في موضوع الواسطة إلى ثلاثة أقسام:(١)

- **قسم غلَوْا فيها**، فجعلوا الأنبياء شركاء مع الله، فصرفوا لهم حقَّ العبادة بل والإحياء والإماتة والرَّزق والثواب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

- **وقسم جفَوْا فيها**، فأنكروا توسط الأنبياء في تبليغ الرسالة، فكذَّبوا بالكتب، وحاربوا الرسل، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾[البقرة: ٨٧].

١- انظر رسالة «الواسطة بين الحق والخلق» لابن تيمية، و«الرد على المنطقيين» (ص ٥٣٧)، و«مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٠١) (٢٧/ ٢٧٩)، و«سبيل الرشاد في هدي خير العباد» لتقي الدين الهلالي (٦/ ١٤١-١٤٢).

▪ **وقسم توسَّطُوا واعتدلوا فيها**، فقالوا: الأنبياء وسائط في تبليغ رسالات الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[الأنعام: ٤٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الأحزاب: ٣٩].

الرد على المشركين في طلَبهم لرسول من الملائكة

المسألة التاسعة: استنكَر المشركون جهلًا وتكبُّرًا أن يكون الرسُل -وهم بشر- واسطةً دون الملائكة، فقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ٧]، وهذا مِن جهلهم بكمال لُطف الله ورحمته بخَلقه أنْ جعَل الرسُلَ بشرًا مِن جِنسهم، يخاطِبونهم بألسنَتهم، ولم يجعلهم ملائكةً لعَدَم إمكان رؤيتهم ومخالطتهم ومخاطبتهم، فلا تحصُل الفائدة المقصودة مِن إرسالهم حينئذ، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٩]، لأنَّ البشر خُلقوا على هيئةٍ واستعدادٍ لا يتمكَّنون بها مِن رؤية الملائكة والجنِّ.

وعلى تقدير إرسال الملَك، لا بدَّ أن يتشكَّل بشكل رجل يمكنهم مخاطبته، والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر، كما هم يلبِّسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري، كقوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾[الإسراء: ٩٥].[١]

١- انظر «النبوات» (٢/ ٦٨٠)، و«العقائد السلفية» (١/ ٣٠٥).

أعظم معجزات الأنبياء: القرآن

المسألة العاشرة: الرسل هم صَفوة الخلق، وخيرُ الناس للناس، أيَّدهم الله جل وعلا بالآياتِ والبراهين الدالَّة على صِدقهم وتثبيتًا لهم ولأتباعهم.

قال ابن تيمية[١]: «**ومن الممتنع أن يرسِل اللهُ رسولاً يأمر الناسَ بتصديقه، ولا يكون هناك ما يَعرِفون به صدقَه**، وكذلك مَن قال: إني رسولُ الله، فمن الممتنِع أن يَجعل مجرَّد الخبر المحتمِل للصِّدق والكذب دليلاً له، وحُجَّةً على الناس، هذا لا يُظنُّ بأجهل الخَلق، فكيف بأفضل الناس؟». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المسألة الحادية عشرة: مِن أعظَمِ مُعجزات الأنبياء ما آتاه الله جَلَّجَلَالُهُ **لنبينا محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ **وهو القرآن الكريم.**

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**ما مِن الأنبياءِ مِن نَبِيٍّ إلَّا قد أُعْطِيَ مِن الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كان الَّذي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إليَّ، فأرْجُو أنْ أكونَ أكثَرَهُم تابِعًا يومَ القيامَة**».

١- «النبوات» (٢/ ٦٣٩). وانظر أيضا (٢/ ٧٧٣، ٨٠٠).

٢- البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ونبيُّنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -وإنْ كان قد أعطِي من كلِّ نوع من أنواع معجزات الأنبياء قبلَه، كما قد أوضحناه في كتابنا المسمَّى بـ «**الإعلام بصحة نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام**»[٢]- لكنه فُضِّل على جميعهم بالمعجزة العُظمى الباقية ما بقِيَت الدنيا، وهي الكتاب العزيز الذي أعجَزت السورةُ منه الجنَّ والإنسَ أيَّ تعجيز[٣]، **فإعجازُه مشاهَد بالعيان، متجدِّد ما تعَاقَب الجديدان**، فمَن ارتاب الآن في صِدق قوله، قيل له: فائْتِ بسورة مِن مثله، **ولما كانت هذه المعجِزةُ قاطعةَ الظهور، مستمرَّةً مَدَى الدُّهور، اشترَك في معرفتها المتقدِّمون والمتأخِّرون، واستوى في معرفة صِدق محمد** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **السَّابقون واللَّاحِقون، فدخل العقلاء في دينه دخولًا متتابعًا، وحقَّق اللهُ تعالى له رجاءَه، فكان أكثرَ الأنبياء تابعًا**». انتهى.

١- «المفهم» (٦/ ٥٠).

٢- وهو المطبوع باسم: «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ» بتحقيق د. أحمد حجازي السقا.

وانظر «آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحهما لصحيح مسلم دراسة وترجيح» لعبد الله الرميان (١٠٨-١١٠).

٣- انظر «شرح الأصفهانية» لابن تيمية (ص ٢٢٠، وما بعدها).

ولقد أحسن العلامة ابن عدُّود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:[١]

والـــوحيُ حـــقٌّ لـــيسَ قـــولًا يُختَلَـــقْ
والكُتْـــبُ حـــقٌّ والملائكَـــةُ حـــقْ
والرُّسْـــلُ حَـــقٌّ والنَّبـــيُّ العَرَبِـــي
خَـــاتِمُهُمْ، أعْلاهُـــمُ في الرُّتَـــبِ
وكُلُّهُـــمْ أُوتِـــيَ إذْ جَـــا بِالبُشَـــرْ
مـــا مِثْلُـــهُ عليـــهِ آمَـــنَ البَشَـــرْ
وإنَّمَـــا كَـــانَ الـــذي الأوَّاهُ
أُوتِيـــهِ وَحيًـــا إلَيـــهِ اللهُ
أوْحَـــاهُ، فهـــو أكثَـــرُ الجَمَاعَـــهْ
متَّـــبَعًا يـــومَ تقُـــومُ السَّـــاعَهْ

١- «مجمل اعتقاد السلف» (٢٩-٣٠).

والإيمان بالرسل يتضمَّنُ أمورًا، سأبيِّنها مِن خلال المسائل التالية:[١]

قيام الحُجَّة على الخَلق ببعثة الرسُل

المسألة الثانية عشرة: نؤمن بأنَّ الله تعالى -فضلا منه ومِنَّةً- بعَث في كُلِّ أُمَّةٍ رسولًا يدعُوهم لما فيه خيرُ الدنيا والآخرة، ويحذِّرهم ممَّا فيه الخسران في الدنيا والآخرة، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[فاطر: ٢٤]، فإنَّه -لكمال عدله سبحانه- لا يُعذِّبُ قومًا إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾،[الشعراء: ٢٠٨ - ٢٠٩] وقال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[القصص: ٥٩]، ولا يُنكِر هذا المشركون كما أخبر اللهُ عن النَّار التي هي مثواهم: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ ﴾[الملك: ٨ - ٩].

١- انظر رؤوس هذه النقاط في «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص ١٥٩-١٦٢)، مع زيادات كثيرة هي كالشرح والبيان لها.

قال ابن يونس الصقلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأنَّ الله سبحانه قد احتجَّ على عباده برُسله، وكشف قناعهم، وقطع عُذرَ العباد** في الدلالة على صِدقهم بما آتاهم به من الآيات وظاهر المعجزات، وتابَع الرسُل وأنزل عليهم الكتب، وشرَع الشرائع وفرض الفرائض، وختم النبوة برسالة محمد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ». انتهى.

١- «الجامع لمسائل المدونة» (٢٤/ ٥٩).

مَن كذَّب رسولًا واحدًا فقد كذَّب جميع الرسل

المسألة الثالثة عشرة: نؤمن بأنَّ الرسُلَ جميعًا متَّفِقون على الدعوة إلى التوحيد والإنذار عن الشرك والتنديد، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[الزخرف: ٤٥]، وإن اختلفوا في تفاصيل الشرائع والأحكام[١]، وعليه، **فمن كذَّب نبيًّا واحدًا، فقد كذَّب جميعَ الأنبياء إذ قولهم واحد ودعوتهم سواء**، قال جلَّ وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء: ١٠٥].[٢]

وعليه، فالإيمان بالرسُل يجب أن يكون جامِعًا عامًّا مؤتلِفًا لا تفريقَ فيه ولا تبعيضَ ولا اختلاف، بأنْ يؤمنَ بجميع الرسُل وبجميع ما أنزل إليهم، **فمن آمن ببعضٍ الرسُل وكفَر ببعضٍ أو آمن ببعضِ ما أنزل اللهُ وكفَر ببعضٍ، فهو كافر**، وهذا حالُ من بَدَّل وكفَر مِن اليهود والنصارى والصابئين.[٣]

١- وقد تقدَّم بيان هذا في تفسير «شهادة أن لا إله إلا الله» عند الكلام على أركان الإسلام.

٢- انظر «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٢٣٧).

٣- «الفتاوى» (١٢/ ١١). وانظر أيضا (١٩/ ١٨٠).

قال الإمام ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**من سبَّ أحدًا من الأنبياء والرسل، أو جحَد ما أنزل عليه، أو جحَد منهم أحدًا، أو جحَد ما جاء به فهو بمنزلة من سبَّ رسولَ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يُصنَع فيه ما يُصنَع فيه هو**». انتهى.

قلت: وقد شاهد العالَمَ أجمع سنة (٢٠٢٠ م)[2] هبَّة كبيرَةً من المسلمين وعلمائهم وحكَّامهم نُصرةً لنبيِّهم وإمامهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ظهور الرسوم «الكاريكاتورية» الخبيثة التي تمَّ نشرُها حِقدًا وسفَهًا وتغطرُسًا في فرنسا، التي صارت مضرب المثل في العالم في العنصرية، ورمزًا في معاداة الأُمَّة الإسلامية!؟؟

وعقيدة المسلمين -في الحقيقة- تأبى كلَّ أنواع التعدِّي على الأنبياء والرسل والملائكة وجميع المقدَّسات، لأننا عبيد لله جلَّ في علاه، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥].

١- «الجامع» لابن يونس (٢٢/ ٢٨٢)، و«البيان والتحصيل» لابن رشد (١٦/ ٤١٥). وانظر «الشفا» (٢/ ٣٠٢)، و«مواهب الجليل في شرح مختصر خليل» للحطاب الرعيني (٦/ ٢٨٥)، و«حاشية الصاوي على شرح الدردير» (٢/ ٤١٧).

وللسيوطي رسالة بعنوان: «تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء».

وانظر «منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة» للدعجان (ص ٢٨٦).

٢- ووافق ذلك تحريرَ هذه المباحث.

قال ابن رشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**مَن جحَد ما نزَل على نبيٍّ من الأنبياء** مثل أنْ يقول: إنَّ الله لم ينَزِّل التوراة على موسى بن عمران! أو الإنجيل على عيسى ابن مريم! أو جحَد نبوَّةَ أحدٍ منهم فقال: إنَّه لم يكن بنبيٍّ، **فإنَّه كُفْرٌ صريح**». انتهى.



١- «البيان والتحصيل» (١٦/ ٤١٦).

الرسُل: عباد مُكرَمون، راشدون وناصحون

المسألة الرابعة عشرة: نؤمن بأنَّ الرسُلَ عباد لله مُكرَمون، يُتَّبَعُون ولا يُعبدون، قال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[إبراهيم: ١١]، وأمر اللهُ جلَّ وعلا نبيَّنا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول لقومه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[الأنعام: ٥٠].

المسألة الخامسة عشرة: الأنبياء والرسُل كِرام برَرَة، أتقياء أُمَناء، صادقون، بارُّون، راشدون، ناصحون، هداةٌ مهتَدون، قال تعالى بعد أنْ ذكر طائفةً كبيرةً من الأنبياء والرسُل: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام: ٨٧ - ٨٨]، وقال عنهم صاحب ياسين ناصِحًا قومَه ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[يس: ٢٠ - ٢١]، فوصفَهم بالصلاح والاستقامة ظاهرًا وباطنًا.

المسألة السادسة عشرة: نؤمن بأنَّهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، جاؤوا بالبيِّنات من ربِّهم إلى أقوامهم، كما قال تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ٤٣].

الرسُل والأنبياء مؤيَّدون بالحُجَج البيِّنات والآيات الباهرات

المسألة السابعة عشرة: نؤمن بأنَّ اللهَ أيَّدهم بالحُجَج والبراهين الظاهرة، والآيات والمعجزات الباهرة، الدَّالة على صِدقهم، والشاهدة على عَظَمة مَن أرسلَهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**كلُّ رسول أُيِّد بمُعجِزةٍ تدُلُّ على صِحَّة رسالته، فيَظهرُ صدقُه، وتثبُت حجَّتُه، كما قد عُلِم مِن أحوالِهم، بما أخبرَنا اللهُ به وبيَّنه عنهم**، غيرَ أنَّ معجزاتِهم تنْقَرِض بانقراضِهم، فلا يَبقى منها بَعدَهم إلَّا الإخبارُ بها، وذلك قد يَخفى مع توالي الأعصار». انتهى.



١- «المفهم» (٦/ ٥٠).

الرسُل ناصِحون في تبليغ دين الله

المسألة الثامنة عشرة: نؤمن بأنَّهم قد بلَّغُوا جميع ما أرسلوا به البلاغ المبين، فقامت بذلك الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾[الجن: ٢٨]، وذكر الله عن عدد مِن أبيائهم أنَّهم قالوا لأقوامهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[الأعراف: ٧٩].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، قالت: «**مَن حدَّثَك أنَّ محمَّدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **كتَم شيئًا ممَّا أنزَل اللهُ عليه، فقد كذَب، والله يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]»، الآيةَ.[١]

وروى البخاري تعليقًا[٢] عن الزُّهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: «**مِن الله الرِّسالة، وعلى رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **البلاغُ، وعلينا التَّسليم**».

١- رواه البخاري (٤٦١٢)، ههنا مختصَرًا، وقد أخرجه في «صحيحه» مطوَّلًا (٤٨٥٥)، وكذلك مسلم (١٧٧)، وغيرُهما.

٢- انظر «تغليق التعليق» (٥/ ٣٦٥-٣٦٦).

الإيمان بأسماء مَن ذُكر لنا من الرسُل، وهم خمسة وعشرون

المسألة التاسعة عشرة: نؤمن بما سمَّى اللهُ لنا مِن أنبيائه ورسُله في الكتاب والسُنَّة تفصيلًا، ونؤمن بسائرهم إجمالًا، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[غافر: ٧٨].

وعدَدُ الذين ذكرَ اللهُ منهم في القرآن الكريم خمسةٌ وعشرون (٢٥)، وهم: آدم، ونوح، وإدرس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويوسف، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، وأفضلهم وخاتمهم وإمامهم ومقدَّمهم نبيُّنا محمد، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «**وليس المسلمون مطالبين بأن يعلَموا غيرَ محمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، **ولكنَّ الأنبياءَ الَّذين ذُكِروا في القرآن بصَريح وصْف النبوءة يجِبُ الإيمانُ بنُبوءتهم لمن قرَأ الآيات التي ذُكِروا فيها، وعِدَّتُهم خمسةٌ وعشرون بين رسول ونبيء،** وقد اشتمَل قوله

١- «التحرير والتنوير» (٢٤/ ٢١١). وانظر أيضا (٧/ ٣٤٦).

تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام: ٨٣ - ٨٦] على أسماء ثمانية عشر منهم، وذكر أسماء سبعة آخرين في آيات أخرى»، وقد جمعها بعضهم بقوله(١):

حَـتْمٌ علـى كُـلِّ ذي التَّـكْليفِ مَعرِفَـةٌ
بأنبيـاءٍ علـى التَّفصـيلِ قـد عُلِمُـوا

في ﴿تلـك حجَّتُنـا﴾ مـنهمْ ثمانيـةٌ
مِـن بعـد عَشْـرٍ ويبقـى سـبعةٌ وهُـمُ

إدريـسُ هـودٌ شـعيبٌ صـالحٌ وكـذا
ذو الكِفـلِ آدمُ بالـمُختارِ قـد خُتِمُـوا

١- انظر «شرح جوهرة التوحيد» للبيجوري (ص ٥٣).

شريعة الإسلام ناسخة لما قبلَها

المسألة العشرون: نؤمن بأنَّ شريعةَ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نَسَخَت كلَّ الشرائع قبله، لأنَّه خاتم الأنبياء والمبعوث إلى الثقلين: الإنس والجن، العرب والعجم، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان: ١]، وفي «صحيح مسلم»(١) عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِنْ هذه الأُمَّةِ يهوديٌّ، ولا نَصْرانيٌّ، ثُمَّ يمُوتُ ولم يؤمِن بالَّذي أرْسِلْتُ به، إلَّا كان مِنْ أصْحابِ النَّار**».

ونسخُ الشريعة الذي يُذكر عند أهل العلم لا يريدون به أنَّ جميع ما في الشرائع السابقة مِن أديان الأنبياء قد نُسِخ، وقد بقي في دين الإسلام منه شيء، وإنَّما يريدون أنَّ العبادة صارت مرهونة بما جاء به النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(٢)

١- (١٥٣).

٢- انظر «شرح مختصر في أصول العقائد الدينية» لشيخنا العصيمي (ص ١٧). ولي على هذه الرسالة للعلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ شرح موسَّع سميته «التعليقات السَّنية والفوائد البهيَّة»، ولكنني لم أنشره بعدُ نظرا لما فيه من تصحيف مع طول في بعض المباحث.

ولعل الله يقيِّضُ له من إخواننا مَن يراجعه، ويختصره، ثم ينشره حتى يستفيدَ منه طلاب العلم.

دلائل النبوَّة كثيرة، ومنها نُصرة الله لأنبيائه

المسألة الواحدة والعشرون: نؤمن بأنَّ الرسُلَ منصورون مؤيَّدون مِن الله، وأنَّ العاقبةَ لهم ولأتباعهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[غافر: ٥١]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

ونصرُ الله جَلَّجَلَالُهُ لأنبيائه ورسُله مِن دلائل نبوتهم وبراهين صدقهم، فإنَّ أهلَ السنة والجماعة لا يحصُرون النبوَّة في دليل واحد -وهو المعجزات-، وإنما يرَون أنَّ دليلها وبرهانها متنوِّعٌ، ويردُّون على من قَصَره على المعجزات الحسيَّة.

وهذا يقول أهلُ السنة: تثبُتُ الرسالة بعدة أمور، منها:[1]

- **تأييد الله لأنبيائه ورسُله بالحُجَج** الشرعيَّة والآيات الكونيَّة التي تسمى «المعجزات».
- **حالُ الأنبياء في أنفسهم،** وفيما جاؤوا به من صِدق في الأخبار وعدل في الأحكام.

١- انظر «شرح الأصفهانية» (١/ ١٥٥)، و«النبوات» (١/ ٢٣٨)، و«شرح الطحاوية» (ص ٨١).

- **نصرُ الله لأنبيائه**، ولأتباعهم من الأولياء الذين ينصرُهم الله بقدر ما عندهم من الموافقة لأنبياء الله ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
- **انتقام الله** جَلَّجَلَالُهُ **مِن أعدائهم**، ومؤاخذته للمكذِّبين لهم بألوان العُقوبات، فكانوا عبرةً للمُعتَبِرِين، وسلَفًا ومثلًا للآخِرين.



لا بُدَّ أن يفضحَ اللهُ مَن يكذِب عليه

المسألة الثانية والعشرون: ذكر الله عن المشركين قولَهم في النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[الطور: ٣٠]، أي: ننتظر به حوادث الدَّهر، حتى يحدُث له منها الموت، لما استقرَّ عندهم أنَّ الله لا يترُك أحدًا من الخَلق يكذب عليه ولا يأخذه أخذَ عزيزٍ مقتدر، وهذا حقٌّ جاء به القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[الأحقاف: ٨]، وقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾[الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام: ٩٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ

ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[يونس: ١٥]، وكما قال موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لفرعونَ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾[الشورى: ٢٤]، فأخبر جلَّ وعلا خبرًا جازِمًا غيرَ معلَّق: أنَّه يمْحُو الباطل ويُحِقُّ الحقَّ، وهذا في القرآن كثير جدًّا، إذ يستدِلُّ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بكماله المقدَّس، وأوصافه وجلاله على صِدق رسُله.[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] مُدَلِّلًا لهذا الأصل ممَّا وقع للنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع زوجه خديجةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أوَّلَ ما نزَل عليه الوحي: «وتأمَّل فرْقَ ما بين استدلال سيِّدة نساء العالمين خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بصفات الربِّ تعالى وصفات محمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، **واستنتاجها مِن بين هذين الأمرين صحَّةَ نُبوَّته وأنَّه**

١- انظر «الجواب الصحيح» (١/ ١٤٢، ٤٤٦، ٤٩٥) (٦/ ٣٨٧) ومواضع أخرى، و«شرح الأصفهانية» (ص ٢٢٧)، و«النبوات» (٢/ ٨٩٧)، و«الحسنة والسيئة» (ص ٤٧)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٤٣٤)، و«زاد المعاد» (٣/ ٥٦٠)، و«شرح الطحاوية» (ص ٨١).

٢- «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٢٣٣).

رسولُ الله حقًّا، وأنَّ مَن كانت هذه صفاتُ ربِّه وخالِقه تأبى أنْ يخزِيَه، وأنَّه يؤيِّده ويُعلِيه، ويُـتِمُّ نعمتَه عليه». انتهى.

تفاضُل الأنبياء والرسُل

المسألة الثالثة والعشرون: نؤمن بأنَّ الرسُلَ يتفاضَلون على ما أخبر الله به في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[الإسراء: ٥٥]، فهم متفاضِلون بما خصَّهم اللهُ من خصائصَ وفضائل.

فالرسل أفضل من الأنبياء[١]، وأفضل الرسُل وأكملهم: أولو العزم منهم، وأفضل أولي العزم: نبيُّنا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى ونوح، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.[٢]

توجيه حديث: «لا تُخَيِّرُوا بينَ الأنبياء»

المسألة الثالثة والعشرون: لا يُعارَضُ ما تقدَّم مِن المفاضلة بين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بقول النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُخَيِّرُوا بينَ الأنبياء**»[٣]، وذلك لأمرين:

١- خلافا لما ظنه العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من تفضيله للنبوة على الرسالة كما في «قواعده» (٢/ ٢٣٦). وانظر كلام تلميذه القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفروق» (٢/ ٣٨٣-٣٨٤).

٢- انظر «الفروق» (٢/ ٣٩٣)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٤٤٥)، و«شرح الطحاوية» (ص ٢٧).

٣- رواه البخاري (٢٤١٢) ومسلم (٢٣٧٤).

- **أولا**: لأنَّ السنة الصحيحة لا يمكن أن تُعارِض القرآن، فإنَّ الكل من عند الله، وإنَّما يقع التعارُض عند الناظر في الأدلة لا في حقيقة تلك الأدلة، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢].
- **ثانيا: أجاب العلماء عن هذا الحديث وغيره بعدة أجوبة، منها:**[١]
  - أنه قاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدبًا وتواضُعًا.
  - أنَّ النهي جاء عن تفضيلٍ يؤدِّي إلى الخُصومة والفتنة.
  - أنَّ النهي جاء عن التفضيلِ بين الأنبياء على وجه يلزمُ منه تنقُّصٌ للمفضول.
  - أنَّ التفضيل ليس بمجرَّد الآراء والعصَبيَّة، وإنَّما هو لله عَزَّ وَجَلَّ.

١- انظر «شرح معاني الآثار» للطحاوي (٤/ ٣١٥) [**باب التخيير بين الأنبياء** عَلَيْهِمُ السَّلَامُ]، و«إكمال المعلم» لعياض (٧/ ٢٣٧)، و«المفهم» للقرطبي (٦/ ٢٢٩)، و«شرح مسلم» للنووي (١٥/ ٣٨) (١٥/ ١٢٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٧١)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٨٤-٨٧)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٩٨)، و«معارج القبول» (٣/ ١١٢٤).

هل في الـجِنِّ رُسُل؟

المسألة الرابعة والعشرون: ذهب جمهور العلماء إلى أنَّه ليس في الجنِّ رُسُل، وإنَّما فيهم النُّذُر[1]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[الأحقاف: ٢٩].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «**الرُّسُل مِن الإنس، والنُّذُر مِن الجنِّ**».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «**وإنما الرُّسُل مِن الإنس لا مِن الجنِّ**». انتهى.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]: «وقد استُدِلَّ بهذه الآية على أنَّه في الجنِّ نُذُرٌ، وليس فيهم رُسُلٌ، **ولا شكَّ أنَّ الجنَّ لم يَبعثِ اللهُ منهم رسولًا**، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾[يوسف: ١٠٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان: ٢٠]، وقال عن

١- انظر «زاد المسير» (٢/ ٧٨)، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص ١٩٦)، و«طريق الهجرتين» (ص ٤١٦).

٢- انظر «زاد المسير»، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٨٦).

٣- «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٨٦) (١١/ ١٢) (١٧/ ١٦٣).

٤- «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣٠٢). وانظر «تفسير الطبري» (٩/ ٥٦١).

إبراهيمَ الخليلِ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾[العنكبوت: ٢٧]، فكلُّ نبيٍّ بعثَه اللهُ تعالى بعد إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فمِن ذرِّيته وسُلالته.

وأمَّا قولُه تبارك وتعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾[الأنعام: ١٣٠]، فالمراد هنا مجموع الجنسين، فيصدُق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[الرحمن: ٢٢]، أي: أحدهما».
انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «واليومِ الآخِر».

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وجاء في رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحديث قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في تعريف الإيمان: «أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكَتِه، وكِتابه، ولِقائه، ورُسُلِه، وتُؤمِنَ بالبَعْث الآخِرِ».(١)

والكلام على الإيمان باليوم الآخر في عِدَّة مسائل:(٢)

حقيقة الإيمان باليوم الآخر

المسألة الأولى: سُمِّيَ اليومُ الآخِرِ بذلك لأنه آخر الأزمنة المحدودة، وليس بعده يوم، إذ هو خاتِمة الأيام، وفيه البعث والجزاء للأنام، ولهذا سُمِّيَ يومُ القيامة باليوم العَقيم، لأنه لا يوم بعده.(٣)

١- رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩). انظر «إكمال المعلم» لعياض (١/ ٢١٥).

٢- وهذه المسائل مستخلَصةٌ من كتابي «عُدَّة الباحِث فيما تعلَّق باليوم الآخر من المباحث»، وقد طبع بتقديم فضيلة الشيخ الدكتور هشام الطاهري -أدام الله نفعَه-:



٣- انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٤٨)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٢/ ٤٢٦)، و«فتح الباري» (١/ ١١٨).

المسألة الثانية: الأدلة على الإيمان بهذا الركن كثيرة في القرآن، بل هو أحد الأصول التي تدور عليها دعوة الأنبياء، وأحد مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، وهذه المقاصد يعرفها مَن له كمال فهم، وحُسن تدبُّر، وجودة تصوُّر، وفضل تفَكُّر، وهي:

- إثبات التوحيد،
- وإثبات المعاد،
- وإثبات النبوات.

وهذه الثلاثة المقاصد، مما اتفقت عليه الشرائع جميعا، كما حكى ذلك الكتاب العزيز في غير موضع.(١)

المسألة الثالثة: حقيقة الإيمان باليوم الآخر هو كما قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]، قال: «أي بالبعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان».(٢)

وضبطه بعض أهل العلم بأنَّه الإيمانُ بكلِّ ما أَخبَرَ به النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **مما يكونُ بعد الموت.** (٣)

١- انظر «إرشاد الثقات» للشوكاني (مع «الفتح الرباني»، ١/ ٤٨١-٤٨٢).

٢- «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٢).

٣- «العقيدة الواسطية» ضمن «الفتاوى» (٣/ ١٤٥).

وأدخل آخرون من أهل العلم[١] الكلام على أشراط الساعة ضمن الإيمان بهذا الركن، **وعلى هذا يتضمَّن باليوم الآخر ثلاثة أمور:**

- **الإيمان بأشراط الساعة** المؤذِنَة بقرب يوم القيامة ونهاية العالم.[٢]
- **والإيمان بالبرزخ** وما يجري فيه من ضغطة وفتنة وعذاب أو نعيم، إذ هو أول منازل الآخرة.
- **والإيمان بما يتعلَّق بيوم القيامة** بدءً من نفخة الصور والبعث إلى غير ذلك مما يقع في ذلك اليوم العظيم من الحِساب والثَّواب والعِقاب، والشَّفاعة، والصُّحُف المأْخُوذَةِ باليَمين والشِّمال، والميزان، والصِّراط، وأحوال الجنَّة والنار، وأحوالِ أهلِها، وأنواعِ ما أعَدَّ اللهُ فيها لأهلها إجمالاً وتَفصيلاً.



١- انظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٣٢٤٥) .

٢- وسيأتي الكلام عليها في آخر هذا الشرح بإذن الله تعالى.

حقيقة الموت الذي لا مفَــرَّ منه

المسألة الرابعة: قبل تفصيل منازل الدار الآخرة، فلنتذكَّر جميعا أنَّ الموت حقٌّ، وأنَّ الله قد كتبه -بلا استثناء- على جميع العباد، فقال جلَّ شأنُه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، في عِدَّة مواضع من كتابه، وقال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦]، وقال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾[الجمعة: ٨]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعُوذُ بعِزَّتِكَ، الَّذي لاَ إلـهَ إلَّا أنتَ الَّذي لاَ يموتُ، والجِنُّ والإنْسُ يموتون**».[1]

المسألة الخامسة: **الموت: مُفارَقَةُ الرُّوح للجسد**[2]، وليس هو عدمًا مَحْضًا ولا فَناءً صِرْفًا، وإنما هو انقطاعُ تَعلُّقِ الرُّوحِ بالبَدَن ومُفارَقتُه وحَيْلُولَة بينهما، وتبدُّلُ حال وانتقال من دار إلى دار.[3]

١- رواه البخاري (٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٧).

٢- «جامع العلوم والحكم» (٣/ ١٠٩٩).

٣- انظر «التذكرة» (ص ١٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٧٧) (١٨/ ٢٠٦).

ولهذا، كان بلال بن سعد يقول في مواعظه: «يا أهلَ الخُلود ويا أهلَ البقاء، إنكم لم تُخْلقوا للفناء، وإنما خُلقتم للخلود والأبد، **ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار**».[١]

١- رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٩)، ونحوه عن عمر بن عبد العزيز (٥/ ٢٨٧) والحسن (٧/ ٢٨٦).

ضغطة القبر

المسألة السادسة: إذا وُضع الميِّت في قبره ضُمَّ ضمَّة، وضُغِط ضغطةً بالتقاء جانِبَي القَبر على جسده.

قال النفراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ومن عذاب القبر ضَغطتُه، **وهي التقاء حافتيه على الميت**، لا ينجو منها صالح ولا طالح، ولو نجا منها غير الأنبياء لنجا سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ». انتهى.

المسألة السابعة: دلَّ على هذه الضغطة ما روت عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**إنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، فَلَوْ نَجَا أو سَلِمَ مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذ**»[٢]، وفي رواية: «**لو نَجا أَحَدٌ مِن ضَمَّةِ القَبرِ لنَجا سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، ولقد ضُمَّ ضَمَّةً ثم رُوخِيَ عنه**».[٣]

قال ابنُ أبي مُلَيكة: «**ما أُجِيرَ مِن ضَغْطَةِ القبرِ أحَدٌ ولا سَعْدُ بنُ مُعاذٍ، الَّذي مِنْدِيلٌ مِن مَنادِيلِه في الجنَّة خَيْرٌ مِن الدنيا وما فيها**».[٤]

١- «الفواكه الدواني» (١/ ٩٦). وانظر «مشاهد الناس عند الموت» للشيخ عبد الرحمن خليف رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٢٦-٣٢٨).

٢- رواه أحمد في «المسند» (٢٤٢٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٦٩٥).

٣- «صحيح الجامع» (٥٣٠٦).

٤- انظر «التذكرة» (ص ٣٢٣)، و«الروح» (ص ٥٦)، و«أهوال القبور» (ص ٦٠).

المسألة الثامنة: هذه الضَّغطَةُ -وإن كانت عامَّةً من حيثُ تَعلُّقُها بالمؤمِن والكافر - إلاَّ أنَّها لا تنالُ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وتَختَلفُ هذه الضَّغطَةُ بين الناس كمًّا وكَيفًا:

- فهي **ضمَّة عذابٍ للكافر**، لا انقطاعَ لها حتى البعث.

قال القرطبي[١]: «وأمَّا الكافرُ فلا يَزالُ قَبرُهُ عليه ضَيِّقًا». انتهى.

- وهي **ضمَّة شَوقٍ وحُبٍّ للمُؤمن**، كَضمَّة الحبيب لحبيبه، تكونُ في أول نزوله إلى قبره ثم يعود الانفِسَاحُ له فيه.[٢]

١- «التذكرة» (ص ٣٨٧).

٢- «لوامع الأنوار» (٢/ ١٦).

حال العبد في القبر كحال القلب في الصدر

المسألة التاسعة: ضِيقُ القَبرِ واتِّساعُه بعد الموت، تابِعٌ لانشراحِ القلب بطاعة الله قبل الموت، **فإنما يكون العبدُ في قبره بحسب ما في قلبه، وكلَّما كان الإيمانُ في قلبه أعظم كان في قبره أسرَّ وأنعمَ**، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[العاديات: ٩ - ١٠]، فجمعَ سبحانه بين ما في القبور وما في الصدور.[1]

وهذا ما عبَّر عنه ابنُ القيم بقوله[2]: «**وحالُ العبد في القبر كحال القلب في الصدر نعيما وعذابا، وسِجنا وانطلاقا**». انتهى.

آنِـــس هُنالـــك يـــا رَحمـــن وحشَـــتَنا
والطُـــف بنـــا وترَفَّـــق عنـــد ذاك بنـــا

نحـــن العُصـــاةُ وأنـــت اللهُ مَلجؤُنـــا
وأنـــت مقصَـــدُنا الأَسْـــنَى ومَطلَبُنـــا

١- «جامع المسائل» (٤/ ٢٢٠).

٢- «زاد المَعاد» (٢/ ٢٥). وانظر «آثار المعلمي» (٢٢/ ١١١)، فله نحو رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فتنة القبر: سؤال الملكين

المسألة العاشرة: بعد ضغطة القبر تكون ثَمَّة الفتنة، وهي سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيِّه.

وفتنة القبر **ثابتة في كتاب الله، وتواترت بها سنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأجمع عليها المسلمون.**

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[إبراهيم: ٢٧]، وعن البَراء بنِ عازِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إذا أُقْعِدَ المؤمِنُ فِي قَبرِهِ أَتَاهُ آتٍ، ثُمَّ يَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَذَلِكَ قَولُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾**».(١)

وتواترت بذلك السنة، كما صرح به جماعة من أهل العلم.(٢)

١- رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٢٠١).

٢- انظر «شرح الصدور» (ص ٢١)، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٢٣).

قال جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «أرجوزة التثبيت في ليلة التبييت»[١]:

اعلَـــــــمْ هَـــــــدَاكَ اللهُ للرَّشَــــــادِ
مُوَفَّقًـــــــا لطُـــــــرُقِ السَّــــــدَادِ
أنَّ الَّـــــذِي عَلَيـــــهِ أَهْـــــلُ السُّـــــنَّةِ
بحُجَـــجٍ أَمْضَـــى مِـــن الأَسِـــنَّةِ
أَنَّ سُـــؤَالَ المَلَكَـــيْنِ مَـــنْ قُبِـــرْ
حَـــقٌّ والايمَـــانُ بِـــهِ فَـــرْضٌ شُـــهِرْ
أتَـــى بـــهِ القُـــرْآنُ بالإشَـــارَهْ
ووافَقَـــــتْ آياتُـــــهُ الإثـــــارَهْ
تـــواتَرَتْ بـــهِ الأحَادِيـــثُ الَّتِـــي
قـــد بَلَغَـــتْ سِـــتِّينَ عنـــدَ العِـــدَّةِ
الآيـــةُ السُّـــؤَالُ فيهَـــا كـــامِنُ

١- وعليها شرح جماعة من أهل العلم كالأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**جمع التشتيت في شرح أبيات التثبيت**»، وصديق حسن خان القنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**ثمار التنكيت شرح أبيات التثبيت**»، وشهاب الدين السبكي (٩٣٩-١٠٣٢ هـ) في «**فتح الغفور بشرح منظومة القبور**».

﴿يُثَبِّـــــتُ اللهُ الَّـــــذِينَ آمَنُـــوا﴾
وإنَّمـــــا المُنْكِـــــرُ للسُّـــــؤالِ
ذَوُو ابتِـــــدَاعٍ وذَوُو اعتِـــــزَالِ

قال ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأنَّ المؤمنين يفتنون في قبورهم ويُسألون**».[2]

ونقل الإجماع على الإيمان بفتنة القبر وسؤال الملَكين أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] وأبو عمر ابن عبد البر[4]، وغيرهما.[5]

١- ولي عليها شرح صوتي منشور على الشبكة:



٢- في «مقدمة الرسالة». انظر «الفواكه الدواني» (١/ ٩٧).

٣- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ١٦٤).

٤- انظر «الاستذكار» (٢/ ٤٢٣).

٥- انظر «الشفا» (مع «شرح مُلَّا القاري» ٢/ ٥٤٣).

منكَر ونكير: مَلَكان أسودان أزرقان

المسألة الحادية عشرة: الملكان اللذان يتوليان سؤال الناس في قبورهم، يقال لأحدهما: **منكر**، وللآخر: **نكير**، **وسبب هذه التسمية** أنهما يأتيان على صورة منكَرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيها أُنْس للناظرين.

فعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا قُبِرَ الميِّتُ، أو قال: أَحَدُكم، أتاهُ مَلَـكَان أسْوَدان أزْرَقان، يُقالُ لأَحَدِهما: المُنْكَرُ، وللآخَر: النَّكِيرُ، فيقُولان: ما كُنْتَ تقُولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقُولُ: ما كان يقُولُ: هُوَ عَبْدُ الله ورَسُولُه، أَشْهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه، فيقُولان: قَدْ كُنَّا نَعلَمُ أنَّكَ تقُولُ هذا، ثُمَّ يُفْسَحُ له في قَبْرِه سَبْعُونَ ذِراعًا في سَبعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فيه، ثُمَّ يُقالُ له، نَمْ، فيقُولُ: أَرْجِعُ إلى أهْلِي فأُخْبِرُهُم، فيقُولاَن: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذي لا يُوقِظُهُ إلاَّ أَحَبُّ أهْلِه إليه، حتَّى يَبْعَثَه الله مِن مَضْجَعِه ذلك، وإنْ كان مُنافِقًا قال: سَمِعْتُ النَّاسَ يقُولُون، فقُلْتُ مِثْلَه، لا أدْرِي، فيقُولان: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أنَّك تقُولُ ذلك، فيُقَالُ للأَرْض: التَئِمِي عليه، فتَلْتَئِمُ عليه، فتَخْتَلِفُ فيها أضْلاَعُه، فلا يَزالُ فيها مُعَذَّبًا حتَّى يَبْعَثَه الله مِن مَضْجَعِه ذلك**»[1].

١- رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩١).

وانظر للفائدة كلام الحافظ ابن حجر على هذا الحديث في «فتح الباري» (٣/ ٢٣٧).

سؤال القبر عام، ويُخصُّ منه بعض الناس فلا يُسألون

المسألة الثانية عشرة: فتنة القبر لا تختصُّ بهذه الأمة على الصحيح، بل تَعمُّ جميعَ الأُمَم، فتُسأل كلُّ أُمَّةٍ عَن نَبِيِّها، وأما بَعد بِعثة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيُسأَلُ الجميعُ عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ أرسَله لجَميع الناس بلا استثناء.

المسألة الثالثة عشرة: الأصل في سؤال القبر أنَّه يَعُمُّ كلَّ مُكَلَّف: المؤمن والكافر والمنافق، والكبير والصغير، والمَرأة والرجل.

ويُستثنى من السُّؤال غيرُ المُكلَّف-على الصحيح-، كالصبيِّ والمَجنون، ومن صحَّت الأخبار باستثنائه: كالنبي، لأنه يُسأل عنه، ولا يُسأل لأنَّ السؤال يَختصُّ بمن شأنه أن يَفتَتن، وممن لا يُسأل الشهيد الذي امتُحن وثبتَ بجهاده في الدنيا، والصدِّيقُ الذي هو أعلى رُتبة من الشهيد، والمُرابِطُ، ومن داوَم على قراءة سورة المُلك، ومن مات يوم الجُمعة.(١)

١- **انظر أدلة هذه الأقوال، ومذاهب العلماء فيها في عدة كتب، منها**: «التذكرة» (١/ ١٢٥-١٣٠)، و«فهارس الفتاوى» (٣٦/ ٥٤٣)، و«الروح» (ص ١٠٦-١١٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٠)، و«فتح الباري» (٣/ ٢٣٩)، و«أرجوزة التثبيت»، للسيوطي، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٠)، و«البحور الزاخرة» (١/ ٢٠٦).

حقيقة عذاب القبر ونعيمه

المسألة الرابعة عشرة: من المسائل العظيمة التي يؤمن بها المسلم أنَّ الناس في قبورهم: إما في نعيم مُقيم، وإما في عذاب وجحيم، كلٌّ بحسب ما قدَّم من عمل في دار العمل.

وعذاب القبر ونعيمه حقٌّ لا مِرية فيه، ولا يُجادل فيه إلا مُبطِل، فقد جاءت به الآيات القرآنية، وتواترت به النصوص النبوية، ورويت فيه الآثار السلفية، وأجمع عليه أهل الحق.

ومن أوضح الأدلة في القرآن على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥ - ٤٦].

واستدلَّ بهذه الآية وغيرِها البخاري في «صحيحه» في: «**باب ما جاء في عذاب القَبر...**».(١)

وبلغت الأحاديث فيه حدَّ التواتُر (١)، ومنها ما جاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَرَّ بقبرين، فقال: «**إنَّهما ليُعَذَّبان ومَا يُعَذَّبان**

١- «فتح الباري» (٣/ ٢٠٣). وانظر «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي الغرناطي (٢/ ٢٣٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ١٤٦)

في كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فكان لا يَسْتَبْرِئُ مِن بَوْلِهِ، وأَمَّا الآخَرُ: فكان يَمْشي بالنَّمِيمَة».[٢]

أهل البدع ينكرون عذاب القبر

المسألة الخامسة عشرة: أنكرت طوائف من أهل البدع ما يقع في القبر من نعيم أو عذاب[٣]، ومن أشهرهم المعتزلة والخوارج والروافض ومن نحا نحوَهم ممَّن يُسَمَّون –زورا– بالقرآنيين، وهم زنادقة جهال بالقرآن، أميُّون في السنة، مولَعونَ بالتكذيب بما لم يحيطوا به علما، قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٣٩ – ٤٠].

=

١- انظر «التمهيد» (٢/ ٣٠٩)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (٢/ ٤٦٠)، و«شرح الصدور» (ص ١٢١)، و«نظم المتناثر» (ص ١٢٥).

٢- رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

٣- وانظر الرد عليهم بحجج نقلية وعقلية قوية في «العقائد السلفية» للعلامة ابن حجر آل بو طامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٤٨٢-٤٨٧).

ومن المعلوم أنَّ الشَّرع يأتي بما تَعجز عقولُ الناس عن معرفته، لا بما يُعرف في عقولهم أنه باطل، **فهو يأتي بمُحارات العقول، ولا يأتي بمُحالات العقول.**[١]

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] في مَعرض ردِّه على أصحاب الرأي المذموم، والكلام المسموم: «فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته برأيهم وقياسهم». انتهى.

وقال الكشميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «عذاب القبر ثبَت متواتِراً، وقال به أهل السنة والجماعة قاطبة، **ومنكر التواتر هذا لا ريب في تبديعه**». انتهى.

١- وهذه عبارة يُكثر من استعمالها شيخُ الإسلام ابن تيمية في مؤلفاته. انظر على سبيل المثال «الجواب الصحيح» (٤/ ٣٠٩)، و«درء التعارض» (٥/ ٢٩٧).

٢- «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٥٢)، مختصرا.

٣- «العرف الشذي شرح سنن الترمذي» (٢/ ٣٤٩)، باختصار.

عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن، ومنه مستمِرٌّ ومنقطِع

المسألة السادسة عشرة: اتَّفقَ أهلُ السنة والجماعة أنَّ العذاب والنَّعيم في القبر يكون على الروح منفردةً، وعليها وعلى البدن حين اتصالِها به، **وإنما وقع الخلاف بينهم في حُصُولِ العذابِ والنَّعيمِ للبدن بدون الروح.**

والحقُّ الَّذي تنصُرُه الأدِلَّةُ هو أنَّ العذابَ والنَّعيمَ على الروحِ والجَسَدِ مَعًا، وهذا هو الَّذي اختارَه جماعة من المحقِّقين من أهل العلم.[1]

المسألة السابعة عشرة: عذاب القبر منه ما هو مستمر، ومنه ما هو منقطع.[2]

أما المستمر منه، فهو الذي يكون للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين الذين لم يَطهُروا من خطاياهم بعدُ أو هم يُعذبون على ذنوبٍ معينة استوجبت استمرار العذاب عليهم إلى قيام الساعة.

وقد يكون العذاب منقطعا، وهذا لعصاة الموحدين خاصة، لأنه عذاب ينقطع قبل يوم القيامة، ويزول بزوال سببه.

١- انظر: «الفتاوى» (٤/ ٢٨٢)، و«مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٢٦٩)، و«الروح» (ص ٧٠)، و«شرح الطحاوية» (ص ٢٩٩)، و«الآيات البَيِّنات في عَدَم سَماع الأموات» للآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١١٣).

٢- انظر «الروح» (ص ١٢١)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٠).

من أسباب عذاب القبر

المسألة الثامنة عشرة: أسباب عذاب القبر كثيرة، منها: [١]

- الغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس.
- والكذب، سيما الكذب الذي يبلغ الآفاق.[٢]
- وعدم التنظف من البول.
- وعدم العمل بالعلم.
- والغُلول: وهو الخِيانةُ في المَغْنَم والسَّرِقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة.
- وتعذيب الحيوان.
- والكبر والخُيَلاء.
- وأكل الربا.
- والزنا.
- والنوم عن الصلاة.
- والتَّألِّي على الله، وهو القول والحُكم عليه بغير علم. [٣]

١- انظر «الروح» (ص ٧٧-٧٩)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٣٠-٢٠٣١).

٢- وما أكثر وأسهل ذلك في عالم التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي!! والله المستعان.

٣- انظر «النهاية» (١/ ٦٢).

وغير ذلك من الأسباب التي أوجبت لأهلها العذاب في قبورهم، والعياذ بالله من حالهم ومآلِهم.

من الأسباب المُنجية من عذاب القبر

المسألة التاسعة عشرة: **الأسباب المُنجية من عذاب القبر كثيرة**، جِماعها: تحقيق التوحيد، واتباع سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، والاستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا، والإكثار من محاسبة النفس، والإسراع بالتوبة، ولكن جاء التنصيص على أسباب معينة تُنجي من عذاب القبر، **ومن ذلك**: [١]

- الرباط والشهادة في سبيل الله.
- المداومة على قراءة «سورة الملك» كل ليلة.
- والموت بمرض البطن، وغير ذلك.

١- انظر «التذكرة» (ص ٤١٥-٤٢٦)، و«الروح» (ص ٧٩-٨٣)، و«موسوعة العقيدة» (٤/ ٢٠٣٢).

النفخ في الصور

المسألة العشرون: بعد ضَغطة القبر وفتنته وعذابه أو نعيمه، نتكلَّم الآن على النفخ في الصور، لأنه سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، إذْ بعده يعيد اللهُ الرُّفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرَّق منها في البحار وبطون السباع وغيرها، حتى تصير كهيئاتها الأولى، ثم يجعل فيها الأرواح فيقومُ الناسُ كلُّهم أحياءً لربِّ العالمين.[١]

والنَّفخُ معناه في اللغة واضح، **والصُّور هو القَرنُ** الَّذي يُنفَخُ فيه، **وهو كهيئة البُوق**، كما جاء في عِدة آثار عن السلف.[٢]

وبوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه»[٣]: «**باب نَفْخ الصُّور**. قال مُجاهِد: «الصُّورُ كهَيئة البُوق»».

وجاء ذكر الصُّور والنفخِ فيه في عدد من النصوص، منها قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠١]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[النبأ: ١٨]، ولما سأل أعرابيٌّ

١- انظر «التذكرة» (ص ٤٧٩).

٢- انظر «تفسير الطبري» (١١/ ٤٦٣)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٩).

٣- «فتح الباري» (١١/ ٣٦٧).

النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصُّور قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه**»[١]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيْفَ أَنْعَمُ وقَد التَقَم صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ وحَنَى جَبْهَتَهُ وأَصْغَى سَمْعَهُ يَنتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ**»، فكَيْفَ نَقُولُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا على الله رَبِّنا**».[٢]

والذي يتولَّى النَّفخَ في الصُّور مَلَك من سادات ملائكة الرحمن، وهو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ باتفاق العلماء.[٣]

المسألة الواحدة والعشرون: قيامُ الناسِ من قُبورهم يكون بعد نَفخة البَعث، **وقد اختلف أهلُ العلم في عدد النَّفخَات:**[٤]

① **القول الأول:** ما ذهبَ إليه بعضُ أهل العلم كابن العَربي المالكي وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وصاحبه ابن كثير والسفاريني وغيرِهم، **إلى أن النَّفَخاتِ ثَلاثٌ**[١]، وهي:

١- رواه أحمد (٦٥٠٧)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠).

٢- رواه أحمد (١١٠٣٩)، والترمذي (٣٢٤٣)، واللفظ له، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٧٩).

٣- انظر «التذكرة» (٤٨٨)، «فتح الباري» (١١/ ٣٦٨).

٤- انظر «التذكرة» (ص ٤٩٠)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٦٩).

الأولى: **نَفخةُ الفَزَع**: وقد ذكَرها الله تعالى في قوله: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[النمل: ٨٧]، وفي قوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾[يس: ٤٩].

والثانية: **نَفخةُ الصَّعْق**: وهي المَذكورةُ في قول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾[الزمر: ٦٨].

والثالثة: **نَفخةُ القِيام أو البَعْث**: وهي المَذكورةُ في نفس الآية بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[الزمر: ٦٨]، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١].

=

١- انظر «عارضة الأحوذي» (١/ ٣٣٤)، و«سراج المريدين في سبيل الدِّين» لابن العربي (طُبع من قريب عن دار الحديث الكتانية بتحقيق د. عبدالله التوراتي، ولكنني لم أطلع عليه بعد)، وعنه ينقل هذا القول القرطبي في «التذكرة» (ص ٤٩٠). وانظر «الفتاوى» (٤/ ٢٦٠) (١٦/ ٣٥)، و«تُحفَةُ المَودُود» (ص ٣٠٦)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٢١٦)، و«لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٦١)، و«التنبيهات السنية» للرشيد (ص ٢٢٦). قلت: وربما فُهِم هذا الاختيار أيضا من كلام الحليمي في «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٣٤).

وجاء التصريح بالنفخات الثلاث في «حديث الصور» المشهور المرويِّ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو حديث قد ضعَّفه جماعة من أهل العلم وحكموا عليه بالاضطراب كالحافظ ابن حجر وغيره.[١]

② **والقول الثاني**: ما اختاره جماعة من أهل العلم كالقرطبي والماوَردي والحافظ ابن حجر وغيرِهم، بل عدَّ علامةُ القيروان الشيخ عبد الرحمن خليف رَحِمَهُٱللَّهُ هذا القولَ هو الأشهر عند أهل العلم[٢]، وحاصله أنَّ **النَّفَخاتِ اثنتان**[٣]، وهي:

الأولى: نَفْخَةُ تَبدأُ بالْفَزَع وتنتهي بالصَّعْق.

والثانية: نَفْخَةُ القِيام أو البَعْث.

واستدلوا لهذا القول بحديث عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في «صحيح مسلم»، وفيه قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلَّا أَصْغَى لِيتًا ورَفَعَ لِيتًا، قال: وأَوَّلُ مَن يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبِله، قال: فَيَصْعَقُ، ويَصْعَقُ النَّاسُ** [هذه نفخة الفزع والصَّعق]، **ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ –أَوْ قال**

١- انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٦٨)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» للألباني (٢٢٢٤).

٢-في كتابه الماتع «مشاهد الناس بعد الموت» (ص ٢٢)

٣- انظر «أحكام القرآن» (١٣/ ٢٤٠)، و«التذكرة» (ص ٤٩١)، و«فتح الباري» (٦/ ٤٤٦) (١١/ ٣٦٩-٣٧٠)

يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كأَنَّهُ الطَّلُّ أَو الظِّلُّ -شكَّ الراوي- **فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَى** [وهذه نفخة البعث]، **فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصحيحُ في النَّفْخ في الصُّور أنهما نَفْختان لا ثلاث، **وأنَّ نفخة الفزَع إنما تكونُ راجِعةً إلى نفخة الصَّعْق**». انتهى

وعليه، فالنفخة الأولى هي نفخة الصَّعْق، سُمِّيَت تارةً بنفخة الفزع باعتبار مبدئها، وسُمِّيَت تارة أخرى بنفخة الصَّعق باعتبار منتهاها، وتكون الثانيةُ بعد ذلك نفخةً للبعث والقيام.

١- «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٢٤٠).

البعث وقيام الناس من القبور

المسألة الثانية والعشرون: الإيمان بالبَعث هو الإيمان بأنَّ اللهَ يُحيي الأموات ويُخرجُهم من قبورهم إذا أُعِيدَت الأرواحُ إلى الأبدان بعدَ نَفخةِ الصُّور الثانية ليُحاسبَهم ويُجازيَهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أعمالهم.

وقد تظافرَت الأدلَّة العقلية والنقلية والفِطرية على إثباته بصُنوف من البراهين وألوان من الحُجَج، **وهو من المَعلوم من الدين بالضرورة الذي اتفَّق عليه المُسلمون، بل وسائر أهلِ المِلَل.**[1]

أما القرآن فمن فاتحته إلى خاتِمتِه مملوءٌ بذكر أحوال اليوم الآخِر وتفاصيل ما فيه[2]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[الواقعة: ٤٧ - ٥٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]،

١- انظر «الفتاوى» (٤/ ٢٦٢)، و«شرح الطحاوية» (ص ٣٠٣)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٩٣)، و«الفواكه الدواني» (١/ ٧٢)، و«لوامع الأنوار» (٢/ ١٥٧)، و«لوائح الأنوار» (٢/ ٢١٩).

٢- انظر «معارج القبول» (٢/ ٧٦٢، وما بعدها).

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[الانشقاق: ٦]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[لقمان: ٢٨].

وفي الحديث قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وأنَّ البَعث حَقٌّ**»[١]، وفي بعض روايات حديث جبريل، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما سُئل عن الإيمان: «**والبَعثِ بعد الـموت**».[٢]

ومن كذَّبَ بالبَعث فهو كافر مُخلَّدٌ في النار، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[الرعد: ٥].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «أجمع المسلمون على أنَّ مَن أنكر البَعث فلا إيمانَ له ولا شهادة». انتهى.

المسألة الثالثة والعشرون: **المَعاد يوم القيامة جِسمانيٌّ ورُوحانيٌّ معًا**، أما أنه جِسماني، فذلك بإعادة الله لهذا الجِسم بعد أن يتفتَّتَ ويَبلى وتتفرَّقَ أجزاؤُه، وأمَّا أنه روحاني، فبإعادةِ الروح إلى البَدَن بعد أن فارَقته.[٤]

١- «صحيح الجامع» (٦٣٢٠).

٢- رواه أحمد (١٧٠٢٧)، وقال محقق المسند: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

٣- «التمهيد» (٩/ ١١٦). وانظر «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ١٧٥).

٤- انظر: «التوضيحات الجلية» (٣/ ١٠٥٨).

يفنى جسد الإنسان إلَّا عَجْبَ الذَّنَب

المسألة الرابعة والعشرون: يفنى كلُّ شيء من ابن آدمَ إلا عَجْبَ الذَّنَب، كما مرَّ من حديث أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**ولَيس مِن الإنسانِ شَيءٌ إلاَّ يَبلَى إلاَّ عَظْمًا واحِدًا وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الـخَلْقُ يومَ القيامة**»[١]، وفي «موطأ الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُٱللَّهُ»[٢] عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ ابنِ آدمَ تَأكُلُهُ الأرضُ، إلَّا عَجْبَ الذَّنَب منه خُلِقَ، وفيه يُرَكَّبُ**».

يقال: عَجْبُ وعَجْمُ، بالميم والباء، لغتان، وهو عظم صغير عند العَجُز، في الأسفل بين الأليتين، هابط في أصل الصُّلب، يقال لطرفه العُصْعُص، على قدر الحُمصَة.[٣]

وقوله: «**منه خُلِقَ، وفيه يُرَكَّبُ**» أي: أنَّ أوَّلَ ما خُلق من الإنسان هو، ثم إن الله تعالى يُبقيه إلى أن يركب الخلق منه تارة أخرى.[٤]

١- سبق تخريجه، وهو في «الصحيحين»، وهذا لفظ مسلم (٢٩٥٥).

٢- (٤٨).

٣- انظر «التمهيد» (١٨/ ١٧٣)، و«المعلم» للمازري (٣/ ٣٨٠)، و«القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» لابن العربي (١/ ٤٣٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٨٤)، و«التذكرة» (ص ٤٤٦).

٤- «المفهم» (٧/ ٣٠٧).

يقول ابن رسلان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

والجســـمُ يَبْلـــى غيــرَ عَجْـــبِ الـــذَّنَبِ
ومـــا شـــــهيدٌ باليًـــا ولا نبِـــي

١- انظر «غاية البيان شرح زبد ابن رسلان» للرملي (ص ١٨).

الحشر: أدلته، مكانه، وحال الناس فيه

المسألة الخامسة والعشرون: إذا قام الناسُ من قبورهم بعد نفخة البعث، اجتمعوا في أرض المحشر.

والحشر لُغةً: الجمع مع سَوق، [١]، **والمُراد به في هذا القام:** جَمعُ الخَلائق وسَوقُهم يومَ القيامة لفَصل القَضاء بينهم.[٢]

المسألة السادسة والعشرون: أرض المحشر **هي الأرض المُبَدَّلة** التي قال الله فيها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: ٤٨]، وجاء وصفُها في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامة على أَرضٍ بَيضاءَ عَفْراءَ، كَقُرصَة النَّقِيِّ، ليس فيها عَلَمٌ لأَحَد**».[٣]

ومعنى: «**عَفْراء**»: بيضاء إلى حُمرة، والعَفَرُ والعُفْرَةُ: بَياضٌ ليس بخالِصٍ يَضرِبُ إلى الحُمرة قليلا.

ومعنى: «**كَقُرْصَةِ النَّقيِّ**»: كرَغِيف مَصنوع من دَقِيق خالصٍ من الغِش والنُّخَالَة، وكأن النار غَيرت بياضَ وجه الأرض إلى الحُمرة.

١- انظر «مقاييس اللغة» (٢/ ٦٦).

٢- انظر «فتح الباري» (١١/ ٣٧٩)، و«مشاهد الناس بعد الموت» لعبدالرحمن خليف (ص ٢٦).

٣- رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠)، واللَّفظ له.

ومعنى: «**ليس فيها عَلَمٌ لأَحَدٍ**»: أي: ليس بها علامةُ سُكنى أو بناء ولا أثر.(١)

المسألة السابعة والعشرون: يُحشر الناس يوم القيامة على هيئة وصفها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، وقرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وأَوَّلُ مَن يُكْسى يومَ القيامة إبراهيمُ**».(٢)

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْشُر الله العِبادَ يومَ القيامَةِ** -أو قال: **الناسَ**- **عُراةً غُرلاً بُهْماً**»، فقال الصحابة: وما «بُهْماً»؟ قال: «**ليسَ معَهُمْ شَيْءٌ**».(٣)

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَاةً**»: أي: لا نِعالَ عليهم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُرَاةً**»: أي: لا كِسوةَ عليهم.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غُرْلًا**»: أي: غيرَ مَختُونين.

١- انظر «مشارق الأنوار» (٢/ ٢٥)، و«المفهم» (٧/ ٣٥١)، و«شرح النووي» (١٧/ ١٣٤)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٧٥-٣٧٧)، و«المصباح المُنير» (٢/ ٤١٧).

٢- رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

٣- رواه أحمد (١٦٠٤٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٦٠٨).

قال أبو الحجاج السَّرَقُسْطي في «عقيدته»:[١]

إنَّ الإلـــــهَ يحـــــشُرِ الخَليقــــــهْ
بحـــــال الابتِـــــداء في الحقيقــــــهْ
قـــد تَركـــوا مـــا خَّولـــوا مـــن قبـــلُ
وهُـــــمْ عُـــــراةٌ وحُفـــــاةٌ غُــــرْلُ
بحيــــــــــث لا فيءٌ ولا ظِــــــــلالُ
فيـــــه ولا أَمـــــتٌ[٢] ولا جِبـــــالُ
قــــد بَـــرَزوا للواحـــد القهَّـــارِ
واستَشــــعَروا هَــــوْلَ عـــذاب النـــارِ
وعَنَــــتِ الوجـــــوه للقيُّـــــومِ
وخَشـــــعَت للمِلـــــك العظـــــيمِ

١- «التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد» (ص ٢٢٠).

٢- المكان المرتفع.

دُنوُّ الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة

المسألة الثامنة والعشرون: من الأمور العِظام التي تحدُث في المحشر دُنوُّ الشمس فوق رؤوس العِباد، مما يجعلهم يَعرَقون على قدر أعمالهم.

فعن المِقداد بنِ الأسْوَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمِعت رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يومَ القِيامة مِن الخَلْقِ، حتى تكونَ منهم كمِقدارِ مِيلٍ**»، -قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ [أحد رواة الحديث]: فوَالله ما أَدري ما يَعنِي بالمِيل؟ أمَسافةَ الأرض، أم المِيلَ الَّذي تُكتَحَلُ به العَينُ-، قال: «**فيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالِهم في العَرَق، فمِنهم مَن يكونُ إلى كَعْبَيه، ومِنهم مَن يكونُ إلى رُكْبَتيهِ، ومِنهم مَن يكونُ إلى حَقْوَيه[1]، ومِنهم مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا**».[2]

١- ويقال: حِقْوَيه بكسر الحاء أيضا، أي: معقد الإزار، وهو ما يُحاذي ذلك الموضع من جنبيه. انظر «شرح النووي» (١٧/ ١٨١).

٢- رواه مسلم (٢٨٦٤).

شفاعة النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة

المسألة التاسعة والعشرون: إذا اشتد البلاء بالناس في الموقف يوم القيامة، بحثوا عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

والشفاعة لغة: من «الشَّفع»، وهو الزَّوج في مقابلة الوتر، شَفَعْتُ الشَّيءَ شَفْعًا، ضَمَمْتُه إلَى الفَرْد[١]، **واصطلاحا هي:** التوسُّطُ عند الله للغير، لجلب خير أو دفع ضَير.[٢]

قال السفاريني[٣]: «فشفاعة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السمعيات التي وردت بها الأخبار، وصحت بها الآثار، حتى بلغت مبلغ التواتر، **وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة**». انتهى.

قال الشيخ التَّاوْدي بن سُودَة الْمُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ:[٤]

مِمَّا تَواتَرَ حديثُ مَن كَذَبْ
ومَن بَنَى للهِ بَيتًا واحْتَسَبْ

١- انظر «المصباح المنير» (١/ ٣١٧).

٢- انظر «القول المفيد» (١/ ٣٣٠).

٣- «لوائح الأنوار» (٢/ ٢٤٧).

٤- في حواشيه على «صحيح البخاري»، كما ذكره محمد بن جعفر الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص ١٨).

ورُؤْيَــــــــةٌ شَــــــفاعَةٌ والحَـــــــوْضُ
ومَسْــــحُ خُفَّـــينِ وهَـــذِي بَعْـــضُ

المسألة الثلاثون: **الشفاعة لها شروط دلَّت عليها النصوص، وهي:**

① **الرضا عن الشافع**، فإنَّ تمكينَ الشافع من الشفاعة تكريم له وتشريف، والله لا يُكرم إلا من رضي قولَه وعملَه.

② **والرضا عن المشفوع له**، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[النجم: ٢٦]، وأعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة هو تجريد التوحيد، ففي «الصحيح»[1] أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يومَ القيامة، مَن قال «لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ»، خَالِصًا مِن قَلْبِه»**.[2]

③ **والإذن بالشفاعة**، لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ: ٢٣]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:

١- رواه البخاري (٩٩).

٢- انظر كلاما حسنا في الشفاعة للعلامة مبارك الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «رسالة الشرك ومظاهره» (ص ٣٣١).

٢٥٥]، وقوله: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

المسألة الواحدة والثلاثون: جعل الله لرسوله ﷺ يوم القيامة عِدَّة تشريفات لا يَشْرَكُه فيها أحد، وكرَّمه بمقامات لا يُدانيه فيها أحد: فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكبا إلى المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه، وله شفاعات خاصة به ﷺ.[1]

وهذه الشفاعات الخاصة به ﷺ ثبتت بها النصوص:

① **كشفاعته في عمه أبي طالب** في أن يُخفف الله عنه العذاب، إذ لا يشفع أحدٌ فيمن مات على الكفر يوم القيامة إلا النبي ﷺ في هذا الرجل لما له من فضل على المسلمين وحماية لسيد المرسلين عليه الصلاة والسلام، فإنَّ الله شفَّع فيه نبيَّه فخُفف من عذابُه حتى صار في ضحضاح من نار[2]، ومع هذا فهو خالد مخلَّد في النار -والعياذ بالله من حال أهل الكفر والبَوار-.

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٠٤).

٢- رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩). والضَّحْضاح هو الشيء القليل من النار مما يبلغ الكعبين، وأصله من ضَحْضاح الماء وهو ما يبقى منه على وجه الأرض. انظر «مشارف الأنوار» (٢/ ٥٥)، و«النهاية» (٣/ ٧٥).

② وكشفاعته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المؤمنين حتى يدخلوا الجنة، والدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنا أكثرُ الأنبياء تَـبَعا يومَ القيامة، وأنا أوَّلُ مَن يَقْرَع باب الجنة»**[١]، وفي رواية: **«أنا أوَّلُ شَفِيعٍ في الجنة»**، وفي لفظ آخر قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آتِي باب الجنة يومَ القيامة فأسْتفْتِحُ، فيقول الخازِنُ: مَن أنت؟ فأقول: مُحَمَّدٌ، فيقول: بك أُمِرْتُ لا أفتَحُ لأحد قَبلَك»**.[٢]

③ وكشفاعته العظمى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي كائنة لجميع الخلق يوم القيامة ليُرِيحهم ربُّهم من عظيم ما هُم فيه من شِدَّة ذلك اليوم، وهي خاصة به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة العالمين، وهي لواء الحمد والمقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء: ٧٩].[٣]

وفي «الصحيحين»[٤] عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«أنا سَيِّدُ النَّاس يومَ القيامة، وهل تَدرونَ بِمَ ذاك؟ يَجمَعُ اللهُ يوْمَ القيامة**

١- رواه مسلم (١٩٦).

٢- رواه مسلم (١٩٧). وانظر «معارج القبول» (٢/ ٨٩٤-٨٩٦).

٣- انظر «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٢٦)، و«شرح أصول الاعتقاد» للآلكائي (٦/ ١١٨٤- ١١٨٦)، و«الشفا» (١/ ٤١٨-٤٣٤).

٤- البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له. ورواية مسلم للحديث تامة كما قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٤٦٢).

الأَوَّلِينَ والآخِرينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، فيُسمِعُهم الدَّاعي، ويَنفُذُهم البَصَرُ، وتَدنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِن الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقون، وما لا يَحتَمِلونَ، فيَقولُ بعضُ النَّاس لبَعْضٍ: ألا تَرَوْنَ ما أَنتم فيه؟ ألا تَرَوْنَ ما قد بَلَغكم؟ ألا تَنْظُرون مَن يَشْفَعُ لكم إلى رَبِّكُمْ؟»، إلى أن قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيأتونِّي فيقولون: يا مُحَمَّدُ، أنت رسولُ الله، وخاتَمُ الأنبياء، وغَفَرَ اللهُ لك ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبك، وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لنا إِلى رَبِّكَ، ألا تَرى ما نحن فيه؟ ألا تَرى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ ويُلْهِمُني مِن مَحَامِدِه، وحُسْنِ الثَّناءِ عليه شيئا لم يَفْتَحْه لأَحَدٍ قَبلي، ثُمَّ يُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأسَك، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأسي، فأقول: يا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال: يا مُحَمَّدُ، أَدْخِل الجنَّة مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسابَ عليه مِنَ الباب الأيْمَن مِن أبواب الجنَّة، وهم شُرَكاءُ النَّاسِ فيما سِوى ذلك مِن الأبواب، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه، إِنَّ ما بين المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصاريعِ الجنَّة لَكَما بين مَكَّةَ وهَجَر، أو كَما بين مَكَّةَ وبُصْرى».

ساق معنى هذا الحديث أبو الحجاج السَّرَقُسْطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنا حقيقة الشفاعة العُظمى في «عقيدته»: [١]

وهـــــي في التَّعجيــــــل للحِســـــابِ
عنـــد امتِـــداد الكَـــربِ والعَـــذابِ

يَضـــيقُ بالنـــاس مَقـــامُ العَـــرضِ
ثـــم يَمـــوجُ بعضُـــهم في بعـــضِ

وقيـــل: نستشـــفِعُ عنـــد ربِّنـــا
لعلَّـــه يُريحُنـــا مِـــن كَربنـــا

فـــذهبوا يَلتَمســـون الرُّسْـــلا
فخـــاطَبوهم أوَّلا فـــأوَّلا

وزيادة على الشفاعات الخاصة به، فإنَّ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **شفاعاتٍ أخرى هي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين،** ومن ذلك شفاعته في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها -كما تقدم-، وهذه مُجمع عليها.

١- «التنبيه والإرشاد» (ص ٢٢٣).

ومنها شفاعته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في قوم استحقُّوا النار ألاَّ يدخلوها، وشفاعته في أقوام من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها.

وشفاعاته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **كثيرة يوم القيامة،** أوصلها بعض أهل العلم إلى خمس[١] وآخرون إلى ثمان[٢]، وبلغت عند بعضهم عشرا[٣]، **وإن كان بعضها يفتقر إلى دليل صحيح صريح.**[٤]

١- «التذكرة» (١/ ٢١٥).

٢- انظر «النهاية» (٢/ ٢٠٤)، و«شرح الطحاوية» (ص ١٤٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٢٨)، و«فتح المجيد» (ص٢٢٣).

٣- «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٦٩).

٤- انظر كلام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في حاشيته على «تهذيب سنن أبي داود » المطبوع مع «عون المعبود» (١٣/ ٥٥-٥٦).

نشر الدواوين وأخذ الكتب بالشمال واليمين

المسألة الثانية والثلاثون: مما يكون في ذلك اليوم العظيم نشرُ الدواوين، وتوزيع صحائف الأعمال، وأخذ الناس لها باليمين والشمال، إلزامًا للعِباد، ورَفعًا للجِدال والعِناد، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾[الأنبياء: ٩٤].

والنَّشر: لُغةً: فَتحُ الكتاب أو بَثُّ الشَّيء، وهو ضدُّ الطيِّ، **وشرعًا:** إِظهارُ صحَائِفِ الأعمال يومَ القيامة وتوزيعُها.[١]

ومن جهة الشرع: الصحف والدواوين والكتاب بمعنى واحد، وهي: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.[٢]

ويتحقق الإيمان بهذه المفردة من مفردات الإيمان باليوم الآخر بأنْ يعتقد المسلم أنَّ **الصحائف -وهي الدواوين- التي يكتب فيها الكرام الكاتبون أعمال العباد تُنشَر وتُظهَر يوم القيامة بلا خفاء، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل.**

قال الله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[الإسراء: ١٣].

١- انظر «التحرير والتنوير» (١٥/ ٤٨).

٢- «التعليق على لُمعة الاعتقاد» للعلامة ابن عثيمين (ص ٦١).

وطائرُه: هو ما طار عنه من عمله من خير وشر، يُلزم به ويُجازَى عليه، ويُجمع كلُّه في كتاب يُعطاه يوم القيامة، إما بيمينه إن كان سعيدا، أو بشماله إن كان شقيا، وقوله: ﴿مَنشُورًا﴾ أي: مفتوحا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره.(١)

وقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ ﴾ أي: اقرأه قراءة المأمورِ الممتثِل لأمْر آمرٍ مُطاع، يأمره بالقراءة فيقرأ، **سواء كان قارئا أو غير قارئ.** (٢)

وعن ابن عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«يُدْنَى المُؤمِنُ يومَ القيامة مِن رَبِّهِ ﷻ، حتى يَضَعَ عليه كَنَفَهُ، فيُقَرِّرُهُ بذُنوبه، فيقول: هل تَعْرِفُ؟ فيقول: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فإنِّي قد سَتَرْتُهَا عليك في الدنيا، وإنِّي أَغْفِرُها لك اليومَ، فيُعطى صَحِيفَةَ حسناتِه».**(٣)

وظاهر النصوص تدل على أنَّ أخذ الصحف يكون قبيل الحساب أو مقارِنا له(٤)، بعدما يشفع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أرض المعاد لفضل القضاء

١- انظر «أضواء البيان» (٣/ ٦١-٦٢).

٢- «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي رَحِمَهُٱللَّهُ (٦/ ٤٤٩)، باختصار.

٣- رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

٤- انظر «موسوعة العقيدة» (٤/ ١٧٨١).

بين العباد، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ - ٨].

المسألة الثالثة والثلاثون: اختلف أهل العلم في صفة أخذ كتاب الأعمال يوم القيامة على أقوال، **حاصلها:**[1]

- **أنَّ المؤمنَ الخالِصَ يأخذ كتابه بيمينه،** قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[الحاقة: ١٩].[2]

- **وأنَّ الكافرَ الخالِصَ والمنافق يأخذان كتابَهما بشماله من وراء الظهر،** قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[الحاقة: ٢٥]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[الانشقاق: ١٠].

- **وأنَّ المؤمنَ العاصي** الذي مات على فسقه دون توبة **يأخذ كتابه بيمينه،** عند جمهور العلماء.

١- انظر «شرح ابن ناجي التنوخي على الرسالة» (١/ ٥٠).

٢- انظر «تفسير السعدي» (ص ٨٨٣).

العَرض والحساب

المسألة الرابعة والثلاثون: من أسماء يوم القيامة **يوم العرض**، الذي يُعرضُ فيه الناس على ربهم، **ويوم الحساب**، الذي يُحاسَب فيه الخلائقُ على أعمالهم، إنْ خيرا فخير، وإن شرا فشر[١]، ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: ٦]، وفي الحديث القدسي المشهور[٢] يقول اللهُ تبارك وتعالى: «**يا عِبادي إِنَّما هي أعمالُكم أُحْصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إيَّاها، فمَن وَجَدَ خيرًا، فليَحْمَد الله، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلك، فلَا يَلومَنَّ إلَّا نفسَه**»، وكان أبو إدريس الخولاني -وهو أحد الرواة- إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه.

والعَرْضُ وشرعًا: إيقافُ الخَلائق بين يدي الله يوم القيامة، **وله معنيان:**[٣]

الأول: معنى عام، وهو عرض الخلائق كلِّهم على ربهم ﷻ، بادِيَةً له صفحاتُهم لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

١- انظر: «التذكرة» (ص ٥٥٠، ٥٦٢).

٢- رواه مسلم (٢٥٧٧).

٣- انظر «معارج القبول» (٢/ ٨٢٢).

والثاني: معنى خاص، وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرُهم بها، وسترُها عليهم، ومغفرتُها لهم.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الكهف: ٤٨]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمَا إنكم ستُعرَضون على ربِّكم، فترَوْنه كما ترَوْن هذا القمر**».[1]

والحسابُ، لُغَةً: العَدُّ والإِحْصَاءُ[2]، **وشرعًا:** عدُّ أعمالِ العباد يومَ القيامة.

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، وقال: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾[الأعراف: ٦ - ٧]، وقال اسبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٧ - ٨]، وهذا ظاهر في أنَّ الحساب يكون بعد أخذ الصحف، لأنَّ الناسَ إذا بُعِثوا لم يكونوا ذاكرين لأعمالهم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي

١- رواه مسلم (٦٣٣).

٢- «تهذيب اللغة» للأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ (٤/ ١٩١).

يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها». انتهى.

وفي «الصحيحين»[٢] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّب**»، فقالت له: «أليس يقول اللهُ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق: ٨]»، فقال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذلِكِ العَرْضُ**».

وعليه، فالمؤمنون متفاوتون في الحساب يوم القيامة:

- **فمنهم**: من يحاسب حسابا عسيرا.
- **ومنهم**: من يحاسب حسابا يسيرا.
- **ومنهم**: من لا يحاسَب أصلا.

وههنا مسألة، وهي: **هل يحاسِب اللهُ الكُفَّار يوم القيامة؟** وفهمُها يَنبني على فهم المراد بالحساب في هذا الموطن.[٣]

فإن قُصِد بالحساب: عَرضُ أعمالهم عليهم، وتوبيخُهم عليها، فالكفارُ يحاسبون بهذا الاعتبار، بالإجماع.

=

١- «التذكرة» (ص ٦١٩).

٢- البخاري (٦٥٣٦) واللَّفظُ له، ومسلم (٢٨٧٦).

٣- انظر «الفتاوى» (٣/ ١٤٦).

وإن قُصِد بالحساب: موازنةُ الحسنات بالسيئات ليَتبيَّن أيهما أرجح، فهذا ممتنعٌ في حقِّهم، لأنه لا حسنةَ لهم ترجَحُ على سيئة الكفر الأكبر التي أحبطت جميعَ أعمالهم -والعياذ بالله من حالهم ومآلهم-.

وعليه، فمحاسبتُهم لا يترتَّب عليها ثواب، وإنما يترتَّب عليها تفاوُتهم في العذاب، فمن كثُرَت سيئاتُه عُظُم عقابُه، ولهذا كان عذاب أبي لهب أشدَّ مِن أخيه أبي طالب، وإن كانا جميعا خالدَين في النار، وعذابُ عاقِر الناقة من قوم ثمود أشد من عذاب سائر قومه، وعذابُ قتَلة يحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء أشد من عذاب غيرهم من الكفار، وهكذا.[1]



١- انظر «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٥٩٧).

الميزان: صفته، وما يوزَن فيه

المسألة الخامسة والثلاثون: إذا تمَّت المحاسَبة جاء وقت الميزان، ليعلَم كلُّ واحد حقيقةَ وزنه عند الله، فمن كان للإيمان والتوحيد في قلبه وزنٌ ثَقُل عند الله ميزانُه، ومن كان غافلا عن الله، متَّبعا لهواه، خفَّ عند الله وزنُه وميزانُه، ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨ - ٩].

الميزان لُغَةً: الآلَة التي تُقَدَّرُ بها الأشياءُ خِفَّةً وثِقَلًا[١]، **وأما شرعًا، فإنَّ الميزان يُطلَق على معنيين:** [٢]

- **أحدهما:** العَدْلُ الشَّرعِيُّ والقَدَرِيُّ، وهو المُراد في الدُّنيا، كالوارد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥]، قال قتادة: الميزانُ: العَدل.[٣]
- **والآخر:** هو الميزان الأُخرَوي.

١- انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٤٦).

٢- انظر «الفتاوى» (٤/ ٣٠٢).

٣- رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٠).

وهو المقصود في هذا المقام، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تَمْلَأُ الميزان**».(١)

وفي بعض روايات حديث جبريل، قال النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَّا سئل عن الإيمان: «**الإيمانُ: أَنْ تُؤمِنَ بالله وملائكَتِه وكتُبِه ورُسُله، وتُؤمِنَ بالجنَّة والنَّار والميزان، وتُؤمِنَ بالبَعث بعد الموت، وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**».(٢)

قال زهير بن عباد: **كل من أدركت من المشايخ**: مالك، وسفيان، وفضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح، كانوا **يقولون**: «**الميزان حق**».(٣)

والميزان الذي يُنصب يوم القيامة ميزانٌ حَقيقي من جِنس المَوازين، له لسان وكِفَّتان حِسِّيَّتان مُشَاهَدَتان، وبهذا صرَّح السلف كابن عباس والحسن، وعلى ذلك أجمعوا.(٤)

١- رواه مسلم (٢٢٣).

٢- «صحيح الجامع» (٢٧٩٨).

٣- «أصول السنة» لابن أبي زمنين رَحِمَهُٱللَّهُ (ص ١٦٥).

٤- انظر «التذكرة» (ص ٧٢٤)، و«الفتح» (١٣/ ٥٣٨).

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان». انتهى.

والقول الأشهر أنَّ الذي يوضَع يوم القيامة، ميزان واحدٌ لجميع الأمم، وجميع الأعمال، وما ذُكِر في الآيات بلفظ «الموازين» بصيغة الجمع، فإنَّ ذلك بالنَّظَر لكَثْرَة المَوزُونات، لا لتَعدُّد المَوازين، أو على أنه أتى بلفظ الجمع تعظيما لشأنه وتفخيما لأمره وتحذيرا من اكتساب السيئات وتحريضا على اكتساب الطاعات.[٢]

وأمَّا الذي يوضع في كفتي الميزان يوم القيامة، فهو العمل، والعامل، وصحائف الأعمال[٣]، على خلاف مشهور.[٤]



١- «شرح السنة» (ص ٤٢).

٢- انظر «لسان العرب» (١٣/ ٤٤٦).

٣- واختاره شارح «الطحاوية» (ص ٣١٦).

٤- انظر «عدة الباحث» للمؤلف (ص ١٨٨-١٨٩).

حوض النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: بُشرى لأتباعه

المسألة الخامسة والثلاثون: مما يكون في عَرَصات القيامة[١]: حوضُ النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الذي جعله الله غِياثًا لأمَّته، ورحمةً لأتباع مِلَّته، فوجَب على كل مكلف أن يعلَمه، وأن يصدِّق به.

والحوض لغةً: مجتمع الماء، والحفرة التي تستقر فيها المياه[٢]، **وشرعًا:** هو حوض حقيقي وهبَه اللهُ لنبيِّه محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يشربُ منه أتباعه في الموقف يوم القيامة.

وتوافرت الأحاديث في صفة حوض النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وخلاصتها أنَّه: يَصُب فيه الماء من نهر الكوثر الذي في الجنة، طولُه شهر وعرضُه شهر، وزواياه سواء -فهو مربع على الصحيح-، ماؤه أشدُّ بياضا من اللَّبن والثَّلج والفِضَّة، وأطيبُ ريحًا من المِسك، وأحلى مذاقًا من العسل، وأبرَد من الثَّلج، آنيتُه أكثر من نجوم السماء عَدَدًا، ومثلُها حُسْنًا وضياءً، يَرِدُه من شاء الله من أمَّة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، من شرِب منه شَربةً لا يظمأ بعدها أبدا.[٣]

١- العَرَصات: جمع عَرْصَة، وهي ساحات القيامة الواسعة التي لا بناء فيها. انظر «مشارق الأنوار» (١/ ٢١٦).

٢- «المعجم الوسيط» (١/ ٢٠٧).

٣- انظر: «موسوعة العقيدة» (٢/ ١٠٨٤)، وهذا الوصف للحوض متفرق في نصوص الأحاديث النبوية، ومن أحسن من جمعها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في «النهاية» (٣٧٤-٤١٠).

والصحيح أنَّه قبل الصراط[١]، وذلك بأنَّ الناسَ يخرُجون مِن قبورهم عطاشاً، فيُقدَّم الحوضُ قبل الصراط والميزان، والعلم عند الله تعالى.[٢]

يقول الأحسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نظمه لمقدمة «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»[٣]:

وأنَّ للمُصْــــطَفى حَوْضـــــًا مَســـــافَتُهُ
مــا بَــيْنَ صَــنْعَا وبُــصْرَى هكــذا ذُكِــرَا
أحْلَــى مِــن العَسَــلِ الصَّــافِي مَذاقَتُــهُ
وأنَّ كِيزَانَـــهُ مِثــلُ النُّجـــومِ تُــرَى
ولـــم يَـــرِدْهُ سِـــوى أَتبـــاعُ سُـــنَّتِهِ
سِــيمَاهُمُ أن يَــرَى التَّحْجِيــلَ والغُــرَرَا
وكَـــمْ يُنحَّـــى ويُنفَـــى كـــلُّ مُبتَـــدِعٍ
عـــن وِرْدِهِ ورِجـــالٌ أَحْـــدَثُوا الغِيَـــرَا

١- انظر «زاد المعاد» (٣/ ٥٩٦)، و«النهاية» (٤١٢-٤١٤).

٢- «التذكرة» (ص ٧٠٣).

٣- «عقيدة السلف» (ص ٦٧).

الصراط: جسر فوق جهنم، لا يجاوِزُه إلا الموحِّدون

المسألة السادسة والثلاثون: يوضع يوم القيامة طريق موصِلٌ للجنَّة ويمرُّ فوق النار، وهو الصراط الذي يجوزه الأبرار، ويُتخطَّف دونه المنافقون والكفار.

والصراط لغة: الطريق الواضح[١]، **وشرعًا:** جسر منصوب على مَتن أي ظهر جهنَّمَ، أرَقُّ من الشَّعرة وأحَدُّ من السيف.[٢]

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يُضرَب الصِّراطُ بين ظَهرَي جهنَّمَ، فأكونُ أنا وأمَّتي أوَّلَ من يُجيز، ولا يتكلَّمُ يومئذ إلَّا الرُّسل، ودَعْوى الرُّسل يومئذ: اللَّهُمَّ سَلِّم، سَلِّم**[٣]**، وفي جهنَّمَ كَلاليبُ مثلُ شَوْك السَّعْدان، هل رأيتم السَّعدانَ؟**» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «**فإنَّها مثلُ شَوْك السَّعدانِ غيرَ أنه لا يَعْلَم ما قَدْرُ عِظَمِها إلا الله، تَخْطَفُ الناس بأعمالِهم، فمنهم المؤمنُ بَقِيَ بِعَمَلِه، ومنهم المُجازَى حتى يُنَجَّى**».[٤]

١- انظر «الصحاح» للجوهري (٣/ ١١٣٩)، و«القاموس المحيط» (ص ٦٧٥).

٢- «الفواكه الدواني» (١/ ٩٠). وانظر «الجواب الصحيح» (٣/ ١٧٨).

٣- وفي هذا إشارة إلى عظم شأن السلامة لاسيما يوم القيامة، فمن سلم حينئذ فقد فاز، ومن ثَمَّ قيل: «**العاقل لا يعدل بالسلامة شيئًا**». انظر «البحور الزاخرة» (٢/ ٨٧٨).

٤- رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢)، وهذا لفظه.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصراط: «**كحَدِّ السَّيف دَحْض مَزَلَّة**».[١]

وينقسم الناس باعتبار إدراكهم للصراط إلى ثلاثة أقسام:

الأول: المشركون الكفار، وهم لا يدركونه أصلا.[٢]

والثاني: المنافقون، وهم يخادَعون دونه، ثم لا يمُرُّون عليه.

والثالث: المؤمنون، فهم مدرِكوه، وتختلف أحوالهم عنده.

وينقسم المؤمنون باعتبار سلامتهم عند المرور على الصراط إلى ثلاثة أقسام أيضا:

الأول: ناجٍ مُسَلَّم، أي لا يمسه عذاب.

والثاني: ناجٍ مخدوش، أي يصيبه شيء له حد فيؤثر فيه، ولكنه ينجو.

والثالث: مكدوس، أي مدفوع في نار جهنم، أعاذنا الله من ذلك.

وينقسمون باعتبار سرعة مرورهم على الصراط إلى أحوال كثيرة، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**يَمُرُّ أوَّلُكم كالبَرق**»، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: وأي شيء كمَرِّ البَرق؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألَم ترَوْا إلى البَرق كيف يَمُرُّ ويرجِعُ في طرفة عين؟ ثم كمَرِّ الريح، ثم كمَرِّ الطير، وشَدِّ الرجال**[٣]**، تجري بهم**

١- «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩١). وانظر «الصحيحة» (٢/ ٦٢٠).

٢- انظر «التخويف من النار» (ص ٢٣٥-٢٣٧).

٣- أي: جريهم الشديد. «المفهم» (١/ ٤٣٩).

أعمالُهم، ونبيُّكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم، حتى تعجزَ أعمالُ العِباد، حتى يجيء الرَّجُلُ فلا يستطيعُ السَّيرَ إلا زَحْفًا، وفي حافَّتَي الصراط كَلاليبُ(١) معلَّقَةٌ مأمورَةٌ بأخْذِ من أمِرَت به، فمَخْدُوشٌ ناجٍ، ومَكْدُوسٌ في النار».(٢)

إذا مُـــدَّ الصــــِّراطُ علـــى جَحِـــيمٍ
تَصُـــولُ علـــى العُصَـــاةِ وتَسْـــتَطِيلُ
فقَـــومٌ في الجَحِـــيمِ لَهُـــمْ ثُبُـــورٌ
وقَـــوْمٌ في الجِنَـــانِ لَهُـــمْ مَقِيـــلُ
وبَـــانَ الحَـــقُّ وانكَشَـــفَ الغِطَـــاءُ
وطَـــالَ الوَيْـــلُ واتَّصَـــلَ العَويـــلُ

١- كلاليب: جمع كَلُّوب وكُلَّاب، وهو الذى يتناول به الحدَّادُ الحديد من النار. انظر «شرح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٤٦٨).

٢- رواه مسلم (١٩٥).

القَنطَرة: بعد الصراط وقبل الدخول إلى الجنة

المسألة السابعة والثلاثون: إذا جاوز المؤمنون الصراط -ولا يجوزه إلا مؤمن- أمِنُوا من دخول النار، فيُحبَسون هناك على قنطرة قبل دخول الجنَّة، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا أُذِن لهم في دخول الجنَّة، وما أعظمَها مِن مِنَّة.[1]

والقنطرة: مكان مرتفع يُحبَس عليه بعضُ المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة للمُقاصَّة بينهم.[2]

وفي الحديث قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَخلُص المؤمنون من النار، فيُحبَسون على قَنطَرة بين الجنَّة والنار، فيُقَصُّ[3] لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة، فوالَّذي نَفْسُ محمد بيده، لَأَحدُهم أهدى بمنزله في الجنَّة منه بمنزله كان في الدنيا**».[4]

١- «تحفة المودود» (ص ٣١٠)، و«التذكرة» (ص ٧٦٨).

٢- انظر «التذكرة» (ص ٧٦٧-٧٦٨)، و«موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٣٨٢).

٣- وفي بعض النسخ: فيُقتَصُّ.

٤- رواه البخاري (٦٥٣٥).

الجنَّة: دار الكرامة، وهي مخلوقة الآن، ولا تفنى أبدا

المسألة الثامنة والثلاثون: إذا جاوز المؤمنون الصراط، وحُبِس منهم مَن حُبس على القنطرة، دخلوا بعدها إلى الجنَّة.

والجنة: لغةً: من الاجتِنان وهو السَّتر، لتكاثُف أشجارها، وتظليلها بالتفاف أغصانها[١]، **وشرعًا** هي: دارُ الكرامَة، التي أعدَّ اللهُ لأوليائه يومَ القيامة.[٢]

وسُمِّيَت الجنَّة بذلك **لأنَّها سَتْرةٌ واحدة**، لشدَّة التفافها وإظلالها، ولسَتر الله نعيمها عنَّا، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧].[٣]

وهي مخلوقة موجودة الآن بنصِّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣]، والإعداد دليل على الخلق والإيجاد.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلق اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **الجنَّة، قال: يا جبريلُ، اذهب فانظُر إليها، فذهب فنظَر، فقال: يا رَبِّ،**

١- انظر «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٠٧).

٢- «أضواء البيان» (٧/ ٤٧).

٣- انظر «مفردات الراغب» (ص ٢٠٤).

وعِزَّتِك لا يَسمَعُ بها أحَدٌ إلَّا دخلَها، ثُمَّ حَفَّها بالمَكارِه، ثُمَّ قال: اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك لقد خَشِيتُ أنْ لا يدخُلَها أحَدٌ».[1]

وعلى هذا أجمع **أهلُ الحق** -خلافًا للمعتزلة ومَن نحا نحوَهم-، كما حكاه جماعة مِن أهل العلم.[2]

وهي باقية لا تفنى أبدًا، ونعيمُها دائمٌ وأهلُها فيها خالدون، والأدلَّة على ذلك لا تُحصى كثرةً، ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[الرعد: ٣٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن يدخُل الجنَّة يَنْعَمُ لا يَبأس، لا تَبلى ثيابُه ولا يَفنى شَبابُه».**[3]

١- رواه أحمد (٨٦٤٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، وغيرهم، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٩٦).

٢- انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٢٩) (٢/ ٣٥٥)، «التمهيد» (٥/ ١٠)، و«مراتب الإجماع» (ص ١٧٣).

٣- رواه مسلم (٢٨٣٦).

أعلى النعيم: النظر إلى وجه الله الكريم

المسألة التاسعة والثلاثون: الجنَّة هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله الكريم، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.[١]

وأدلَّة هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢]، أي: حَسَنَة جميلة من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣].

وقال المزني[٢]: «**فوُجُوهُهم بكرامَتِهِ ناضِرَة، وأعيُنُهم بفَضله إليه ناظِرَة**».

وفي «الصحيح»[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّاسَ قالوا: يا رَسُولَ الله هل نَرى رَبَّنا يومَ القيامة؟ فقال: «**هل تُمارُون في القَمَر ليلةَ البَدْر ليس دُونَه سَحَابٌ**» قالوا: لا يا رَسُولَ الله، قال: «**فهل تُمارُونَ في الشَّمْسِ ليس دُونَهَا سَحابٌ**» قالوا: لا، قال: «**فإنَّكُمْ تَرَوْنه كذلك**».

وأحسن ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله:[٤]

وقُــــلْ يَتَجلَّـــــى اللهُ للخَلْـــقِ جَهْـــــرَةً
كمــا البــدْرُ لا يَخْفــى ورَبُّــكَ أَوْضَــحُ

١- انظر «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٦٦).

٢- «شرح السنة» (ص ٨٢).

٣- البخاري (٨٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٢).

٤- انظر «مختصر نهج الاقتصاد» للمؤلف (ص ٢٥-٣٢).

وليسَ بمْولُودٍ وليسَ بوالِدٍ
وليسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ
وقد يُنكِرُ الجَهْميُّ هَذا وعِندَنَا
بمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيرٌ عن مَقالِ مُحمَّدٍ
فقُلْ مِثْلَ ما قد قالَ في ذاكَ تَنْجَحُ

النار: دار الحسرة والندامة، وهي مخلوقة الآن، وأهلُها فيها خالدون

المسألة الأربعون: تقدَّم فيما سبَق أنَّ مَن لم يمر على الصراط دخل النار، وكان مِن أهل الشقاء والبَوار.

والنار: لغةً: معروفة، وأصلها يدل على الاضطراب وقلة الثبات وسرعة الحركة[١]، **وشرعًا** هي: دارُ الحسرة والندامة، التي أعدَّ اللهُ لأعدائه يومَ القيامة.

وهي موجودة الآن بنصِّ الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا﴾[النبأ: ٢١ - ٢٢]، فهي معدَّةٌ لأعداء الله تعالى، مُرصَدةٌ لهم.[٢]

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّار، قال: يا جبريلُ، اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك يَسمَعُ بها أحَدٌ فيدخُلُها، فحَفَّها بالشَّهَوات، ثُمَّ قال: يا جبريلُ،**

١- انظر «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٦٨).

٢- انظر «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٣٦).

اذهب فانظُر إليها، فذهب فنَظَر، فقال: يا رَبِّ، وعِزَّتِك لقد خَشِيتُ أنْ لا يَبْقَى أحَدٌ إلَّا دخَلَها».[١]

وعلى هذا أجمع أهلُ الحق -خلافًا لأهل البدع-، كما حكاه جماعة، كأبي الحسن الأشعري[٢]، وابن عبد البر[٣]، وغيرهما.[٤]

وهي لا تفنى، وعذاب الكفار فيها أبديٌّ سَرمَدِيٌّ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾[فاطر: ٣٦]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾[الزخرف: ٧٤ - ٧٥].[٥]

وقال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -كما في «صحيح مسلم»[٦]-: «أمَّا أهلُ النَّار الَّذين هُم أهلُها، فلا يَمُوتُون فيها ولا يَحيَوْن»، لأنَّ عذابَهم للإهانة والانتقام، لا للتطهير والتمحيص.

١- رواه أحمد (٨٦٤٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، وغيرهم، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٦٩٦).

٢- انظر «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٢٩) (٢/ ٣٥٥).

٣- انظر «التمهيد» (٥/ ١١)، و«الاستذكار» (٣/ ٨٦).

٤- انظر المسألة الثالثة عند الكلام على «الجنة».

٥- انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ١١٧)، و«تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٥٢).

٦- مسلم (١٨٥).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**أجمع أهل السنة على أنَّ أهلَ النار مخلَّدون فيها غيرُ خارجين منها**، كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبَّر وطغى». ثم قال: «**وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها مؤمن، ولا يخلَّد إلا كافر جاحد**». انتهى.

وفي «نونية » القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

والجنَّـــــة العُلْيـــــا ونــــارُ جهـــــنَّمَ
داران للخَصـــــــــمَين دائمتـــــــــانِ

المسألة الواحدة والأربعون: **تظافرت النصوص في إخراج الموحِّدين من النار، وعلى هذا أجمعت الأمة**[3]، خلافا للوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار.[4]

فمهما عُذِّب المُوَحِّدُ في النار بسبب ذنوبه، فإنه لا مَحالةَ خارِجٌ منها، لأنَّ من مات على التوحيد، حُرِّمت عليه النار، **إما تحريما أبديًّا**، إنْ حقَّق التوحيد كما يحب اللهُ ويرضى، **وإما تحريمًا أمديًّا**، إنْ اكتسبَ معه سيئاتٍ رجَحت على

١- «التذكرة» (ص ٩٢٠). وانظر «موسوعة العقيدة» (٦/ ٢٩٢١-٢٩٢٣).

٢- (ص ٢٤).

٣- انظر «التذكرة» (ص ٩٢٠).

٤- انظر تفصيل ذلك في كتابي «مختصر نهج الاقتصاد» (ص ٨٢-٩١).

حسناتِه.

ورحم اللهُ الإمامَ الشافعي حين قال:

إنْ كُنـــتَ تَغـــدو في الـــذُّنوبِ جَليـــداً
وتَخـــافُ في يَـــومِ المَعـــادِ وَعِيـــدَا

فلَقَـــد أَتـــاكَ مِـــنَ الـمُـــهَيمِنِ عَفـــوُهُ
وأَفـــاضَ مِـــن نِعَـــمٍ عَلَيـــكَ مَزيـــدَا

لـــو شـــاءَ أنْ تَصـــلى جَهَـــنَّمَ خالِـــداً
مـــا كـــان أَلهَـــمَ قَلبَـــكَ التَّوحيـــدَا

أشد العذاب: حَجب الكفار عن رؤية ربِّ الأرباب

المسألة الثانية والأربعون: كما أن أهل الجنَّة يُنَعَّمُون بنِعَمٍ كثيرةٍ أعظَمُها: رُؤيةُ الله جَلَّجَلَالُهُ في الجَنة، فالكفارُ يُعذَّبون بألوانٍ من العذاب أَشَدُّها عليهم: حِجابُهم عن الله.

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥]: **«لما حَجَب أعداءَه فلم يرَوه، تَجَلَّى لأوليائه حتى رأَوْه»**، وقال الحسين بن الفضل رَحِمَهُٱللَّهُ: **«لما حجَبَهم في الدنيا عن نور توحيده، حجَبهم في الآخرة عن رؤيته»**.[1]

أعلـــى النَّعـــيمِ نَعِـــيمُ رُؤيـــةِ وَجْهِـــهِ
وخِطابُـــــهُ في جنَّـــــةِ الحَيَـــــوانِ
وأشَـــدُّ شـــيءٍ في العَـــذابِ حِجَابُـــهُ
سُـــبحانهُ عـــن سَـــاكِني النِّيـــرَانِ

ومن تأمَّل عذابَ أهلِ النار، وما أعدَّ الله لهم من الخِزي في دار البَوار، واستحضَر أحوالَهم، وخَبِرَ سوءَ مآلِهم، وقام هذا الواعِظُ بقَلبه، **انخلَعَ من**

١- انظر «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٦١).

الذنوب والمعاصي، واتباع الشهوات، ولَبِس ثيابَ الخوف والحذَر، وأخصَبَ قلبُه من مَطَرِ أجفانه، وهانَ عليه كلُّ مُصيبَةٍ تُصيبُه في غير دينه وقلبه.[١]

١- انظر «مدارج السالكين» (٣/ ٢٣٦). وكتابي «تسلية المؤمنين بهوان مصيبة الدنيا عند سلامة الدين».



الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر

ثم قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وتُؤمِنَ بالقَدَر خَيرِه وشَرِّه**».

وهذا هو الركن السادس من أركان الإيمان، وأحد أصول الدين المتلقاة من دلائل الكتاب والسنن وأقوال السلف عبر الأزمان.

والكلام على الإيمان بالقدر سيكون في مسائل:

حقيقة الإيمان بالقدر

المسألة الأولى: القَدْرُ والتَّقْدِيرُ: تبيين كمِّيَّة الشيء وجعلُها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة.[1]

واشتهر عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولُه: «**القدَر قُدرةُ الله**»، واستَحسن ابنُ عقيل هذا الكلام جدًّا، وقال: «هذا يدل على دِقَّة علم أحمدَ وتبَحُّرِه في معرفة أصول الدين».

علَّق ابن القيم على هذا بقوله: «وهو كما قال أبو الوفاء ابنُ عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فإنَّ إنكارَ القدَر إنكارٌ لقُدرة الرَّب على خَلق أعمال العِباد وكتابتها وتقديرِها**».[2]

١- انظر «مفردات القرآن» للراغب (ص ٦٥٨).

٢- انظر «شفاء العليل» (ص ٢٨).

ولذا قال في «النونية»[١]:

فحقيقـــةُ القَـــدَر الـــذي حـــارَ الـــوَرى

في شـــــأنه هـــــو قُـــــدرةُ الرحـــــٰمنِ

واستَحسَـــن ابـــنُ عَقيـــلِ ذا مِـــن أحمـــدَ

لـــمَّا حكـــاهُ عـــن الرِّضـــا الرَّبـــاني

والإيمان بالقدر شرعًا: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة، ومشيئته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًّا، حلوًا أو مُرًّا.[٢]

والخَلق مرتبط بقدرة الله التامَّة، وهذا يقتضي أن لا يخرجَ موجودٌ عن قدرته، **ومرتبط بعلمه التام**، وهذا يقتضي إحاطتَه به وتقدُّمَه عليه، **ومرتبط بحكمته سبحانه**، وهذا يقتضي وقوعَه على أكمل الوجوه وأحسنِها واشتماله على الغاية المحمودة المطلوبة للربِّ تعالى.[٣]

١- (ص ٣٦).

٢- «موسوعة العقيدة» (٥/ ٢٣١٨).

٣- انظر «طريق الهجرتين» (ص ٩٢-٩٣).

الإيمان بالقدر حق ثابت

المسألة الثانية: الإيمان بالقدر ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ومن الأدلة قول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[النساء: ٤٧]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢]، أي: وكان أمرُ الله الَّذي يقدِّره كائنًا لا مَحالة، وواقعًا لا مَحيد عنه ولا مَعدَل، وقضاءً مقضيًّا، وحُكمًا مبتوتًا، لأنَّ ما شاء اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكن.[1]

وحين سئل الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القدر أجاب شعرا، فقال:

مــا شــئتَ كــان، وإنْ لــم أشــأْ
وما شــئتُ إنْ لــم تشــأْ لــم يكُــنْ
خَلقْــتَ العِبــادَ لِــما قــد عَلِمْــتَ
ففــي العِلــمِ يَجـري الفتــى والــمُسِنْ
فمــنهمْ شَقِــيٌّ، ومــنهم ســعيدْ
ومــنهم قَبِــيحٌ، ومــنهم حَسَــنْ
علــى ذا مَنَنْــتَ وهــذا خَــذلْتَ

١- انظر «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٧)، و«فتح البيان» لصديق حسن خان (١١/ ٩٩).

وذاك أعَنــــــتَ، وذا لـــــــم تُعِـــــنْ

روى الفِريابي في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: «نزلت هذه الآية تعيِيرًا لأهل القدر».[١]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ شَيءٍ بقَدَرٍ، حَتَّى العَجْزِ والكَيْس**»[٢].

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «**وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشرَّ والخيرَ كلٌّ مِن عند الله، وهو خالقُهما لا شريك له ولا إلهَ غيرُه**». انتهى.

يقول السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[٤]

وكـــــلُّ مـــــا قـــــدَّرَ أو قضـــــاهُ

فواقِــــعٌ حَتمًــــا كمــــا قضــــاهُ

وروي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**إنَّ أحَدَكم لن يَخْلُصَ الإيمانُ إلى قَلبه حتى يسْتَيْقِنَ يَقِينًا غيرَ ظَنٍّ أنَّ ما أَصَابَهُ لم يكُنْ ليُخْطِئَهُ، وأنَّ ما أخطأَهُ لم يكُنْ ليُصِيبَه، ويُقِرَّ بالقَدَرِ كُلِّهُ**».[١]

١- «القدر» للفريابي (ص ٦٩).

٢- رواه مسلم (٢٠٤٥).

٣- «التمهيد» (٦/ ٦٣).

٤- انظر «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٣٥٧).

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أنَّ الإيمانَ بالقدر أحدُ أركان الإيمان، **وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن حقيقة**». انتهى.

وفي «حائية ابن أبي داود» قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]:

وبالقَـــــدَرِ المقْـــــدُورِ أيقِـــــنْ فإنَّـــــهُ

دِعَامَـــةُ عِقْـــدِ الـــدِّينِ والـــدِّينُ أفْـــيَحُ

=

١- رواه البيهقي في «القضاء والقدر» (ص ٢٩٩).

٢- «القول السديد» (ص ١٨٠). وانظر له «التنبيهات اللطيفة» (ص ٩٢).

٣- انظر «مختصر نهج الاقتصاد» للمؤلف (ص ٥٧-٥٩). وفي الأصل «نهج الاقتصاد» مزيد تفصيل.

منزلة الإيمان بالقدَر، وأنَّ مَن لم يؤمن به تغشَّاه الكدَر

المسألة الثالثة: **الإيمان بالقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلَّف** النبيل فضلًا عن الفاضل الجليل، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قُطب رَحى التوحيد ونظامُه، ومبدأ الدين المبين وختامُه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان.[1]

وروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله: «**القدَر نظام التوحيد، فمَن وحَّد الله تعالى وآمن بالقدَر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومَن وحَّد الله تعالى وكذَّب بالقدَر، فإنَّ تكذيبَه بالقدَر نقضٌ للتوحيد**».[2]

وهذا الذي قاله ابن عباس أمرٌ نزلت به الكتب، واتفقت عليه الرسل، وصدَّق به أبتاعهم الذين هم خواصُّ الخَلق ولُبُّ العالَم ونقاوَة البشر.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ[3]: «مَن لم يؤمن بالقدَر فقد انسَلَخ مِن التوحيد، ولبِسَ جلباب الشرك، بل لم يؤمن بالله ولم يعرفه، **وهذا في كل كتاب أنزله الله على رسله**». انتهى.

١- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ٢).

٢- رواه الآجري في «الشريعة» (٤٥٦)، وبنحوه عبدالله بن الإمام أحمد في «السنة» (٩٢٥، ٩٢٨).

٣- «طريق الهجرتين» (ص ٨١).

وقال[١]: «ولم يؤمن بالقضاء والقدَر والحكمة والأمر والنهي والوعد والوعيد حقيقةَ الإيمان إلَّا أتباعُ الرُّسُل وورَثتُهم». انتهى.

والذين لا يؤمون بالقدَر ليس لهم في ميزان الدين قدْر، ولا يصح دينُهم، ولا تُقبل أعمالُهم، حتَّى قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لما بلَغه أنَّ معبدًا الجُهَنيَّ وأصحابَه أنكروا القدَر وزعموا أنه لا قدَر وأنَّ الأمرَ أُنف -أي: حادِث-[٢]، قال: «فإذا لقِيتَ أولئك فأخبِرْهُم أنِّي بَرِيءٌ منهم، وأنَّهُم بُرَآءُ مِنِّي، والَّذي يَحْلِفُ به عَبدُ الله بنُ عُمَرَ **لو أنَّ لأحدِهم مِثلَ أُحُدٍ ذهَبًا، فأنفَقَه ما قَبِلَ اللهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقدَر**».[٣]

وقال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ: «**من كفَر بالقدَر، فقد كفَر بالإسلام**»، ثم قال: «**إنَّ الله خلق خلقًا فخلَقهم بقدَر، وقسَّم الآجال بقدَر، وقسَّم أرزاقَهم بقدَر، والبلاءُ بقدَر، والعافيةُ بقدَر**».[٤]

فإذا علِمَ العبدُ وأيقنَ أنَّه لا يَجري شيءٌ إلَّا بتقديرِه سبحانه، وأنَّه لا غالِبَ لأمرِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لقضائه، اطمأنَّ واستراح، وأمَّا

١- (ص ٩٢).

٢- بمعنى أن الله لا يعلم الأمور إلَّا بعد وقوعها، تعالى الله عن كفرهم علوًّا كبيرا، وسبحانه بكرةً وأصيلا.

٣- رواه مسلم (٨)، وهو مقدمة هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه.

٤- انظر «الشريعة» (٢/ ٨٨٢)، و«القدر» للفريابي (٢٩٥).

من لم يؤمن بذلك عصَفَت به رياحُ الشَّقاء، ولم يَزِده ذلك في دار البلاء إلَّا بلاء، **فمَن لم يؤمن بالقضاء والقدَر تغشَّاه الكَدَر، وتنكَّد عيشُه، وطال طيشُه.**

قال إبراهيم بن إسحاق الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أجمع عقلاء كل أمَّة أنَّه من لم يجْرِ مع القدَر لم يتهنَّ بعَيشه**».[1]

قال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّقا على هذا الكلام[2]: «**وهذا صَحِيح، فما تعاظمت القُلُوب بالمصائب، وضاقت بها الأنفُس وحَرِجَت بها الصُّدُور، إلَّا من ضعف الإيمان بالقدر**». انتهى.

١- انظر «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٥١٢).

٢- «قطر الولي على حديث الولي» (ص ٣٩٦).

مراتب الإيمان بالقدر

المسألة الرابعة: الإيمان بالقدر قائم على مراتبَ أربع: [١]

① **العلم بأنَّ الله أحاط بكل شيء علما**، وعلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٥]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[الأنعام: ١١٧].

② **العلم بأنَّ اللهَ كتب بالقلم مقادير كلِّ شيء في اللَّوح المحفوظ**، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾[الحج: ٧٠]، وفي «الصحيح»[٢] قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقادِيرَ الخَلَائقِ قبلَ أنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بخَمسينَ ألفَ سَنة**»، فآلَةُ كتابةِ القدر هي القلم، واللوح المحفوظ هو الموضع الذي كُتِب فيه القدر، فعن عبادةَ بنِ الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنَّه قال لابنه: «يا بُنيَّ إنَّك لن تَجِدَ طعمَ حقيقةِ الإيمان حتَّى تَعلمَ أن ما أصابَكَ لم يكُنْ لِيُخْطئَكَ، وما أخطَأكَ لم يكُنْ

١- انظر «التمهيد» لابن عبدالبر (٣/ ١٣٩)، و«طريق الهجرتين» (ص ٩٠)، و«شفاء العليل» (ص ٢٩)، ورسالة «هدي النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع أصحاب المصائب والابتلاء» لشيخنا طارق الغويري -نفع الله به- (ص ٣)، بعنايتي وتعليقي.

٢- رواه مسلم (٢٦٥٣).

لِيُصيبَك، سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ»، يا بني، إني سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن مات على غير هذا فليسَ مني».[1]

③ العلم بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فنؤمنُ بأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يَجري شيءٌ ما في السماوات والأرض إلَّا بمشيئته وإرادته، ولا يكون في مُلكه إلَّا ما يريد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩]، وكما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾[الأنعام: ١٣٧]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ قُلوبَ بَني آدَمَ كُلَّهَا بين إصْبَعَيْنِ مِن أصابِعِ الرَّحْمَنِ، كقلبٍ واحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيثُ يشاء»[2].

١- رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٣).

٢- رواه مسلم (٢٦٥٤).

④ **العلم بالإيجاد والخلق**، فنؤمنُ بأنَّ اللهَ هو خالق لكل ما يقع في ملكه، ومن ذلك أعمال العباد مؤمنِهم وكافرِهم، فإنَّ العمل لا يتمُّ إلَّا بإرادة جازمة، وقدرة تامة، وكلاهما مخلوق لله، وخالقُ السَّبب وهو الله، خالقٌ للمسَبَّب وهو العمل، ولهذا قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات: ٩٦]، أي أنَّ الله جل وعلا خلق العامل وعملَه، فكلُّ فِعل لا يكون إلا إذا خلقه الله.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «أهل السنة والجماعة أثبتوا أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيء، **فهو خالقُ العبدِ وخالقُ قدرتِه وإرادتِه، وتأثيرُ قدرةِ العبد لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى.**

فالعبدُ وجميعُ أفعالِه بمشيئة الله تعالى، **مع أنَّ العبدَ يفعلُ اختيارًا** بالقدرة والإرادة اللَّتين خلقهما اللهُ فيه فِعلًا اختياريًّا يُثاب عليه ويعاقب». انتهى.

وأحسن ابن عدُّود رَحِمَهُٱللَّهُ حين قال:(٢)

قُـــلْ: صَـــدقَ اللهُ، فمـــا في الله شَـــكْ

مالِـــكُ كـــلِّ مالِـــكٍ ومـــا ملَـــكْ

١- «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص ٢٧٠).

٢- «مجمل اعتقاد السلف» (ص ١٢-١٣).

خــــالِقُ كـــلِّ فاعِـــلٍ ومـــا فعَـــلْ
مسَـــبِّبُ الأســـباب واضِـــعُ العِلَـــلْ

وعلى هذه المراتب الأربع مدار الإيمان بالقدر عند أهل السنة والإيمان.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**الإيمان بالقدر لا يتِمُّ إلَّا بتحقيق هذه الأمور الأربعة** التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة». انتهى.



١- «التنبيهات اللطيفة» (ص ٩٢).

الفرق بين الإرادتين: الكونية والشرعية

المسألة الخامسة: المشيئة هي الإرادة الكونية، **لأنَّ الإرادة نوعان:**

شرعية،

وكونية.

وحاصل الفرق بين الإرادتين -كما قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]-: «أنَّ الله دعا جميعَ الناسِ على ألسِنَةِ رُسلِه إلى الإيمان به وعبادتِه وحدَه وأمرَهم بذلك، وأمْرُه بذلك مُستَلزِمٌ للإرادة الدِّينية الشَّرعية، ثم إن الله جلَّ وعلا يَهدِي مَن يشاءُ منهم ويُضِلُّ مَن يشاءُ بإرادتِه الكونية القدَرية فيَصيرون إلى ما سَبقَ به العِلمُ من شَقاوة وسعادة...». انتهى.

ولا تلازم بين الإرادتين، بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، **فبينهما عموم وخصوص من وجه.**

فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غيرَ مأمور به.

١- «أضواء البيان» (٧/ ٤٤٨). وانظر «دفع إيهام الاضطراب» (ص ١٢٢).

والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي.[1]

١- انظر «شرح الواسطية» للهراس (ص ١٠٠).

سبب الضلال في باب القدَر

المسألة السادسة: منشأ الضلال والانحراف في باب القدر من جرَّاء عدم التفريق بين الإرادتين، وقياس أفعال الله بأفعال الخلق، ودخول العقل في التحسين والتقبيح، وعدم التسليم لأمر الله وقضائه.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرفت هنا طائفتان من الناس:**

طائفة يقال لهم الجبرية: غَلَوْا في إثبات القدَر، وتوهَّموا أنَّ العبدَ ليس له فعل حقيقةً، وأنَّه لا يُمكِن أنْ يثبُت للعبد عمومُ المشيئة، ولا يثبُت له أيضًا عمومُ الاختيار.

والطائفة الأخرى: القدرية: قابلتهم فشهِدت وقوع أفعالهم بقُدرتهم واختيارهم، وتوهَّموا أنَّه لا يُمكِن مع ذلك أن يدخُل ذلك في قضاء الله وقدره.

ولم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين، فرد كلٌّ منهما قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيِّدة للقول الصحيح». انتهى.

---

١ - «التنبيهات اللطيفة» (ص ١٠٢).

والخلاصة أنَّ القدرية من المعتزلة أثبتوا الإرادة الشرعية فقط، وقابلتهم الجبرية فأثبتت الإرادة الكونية فقط، فغلِطت كلُّ طائفة فيما تركت من حقيقة إرادة ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ونشأ من غلَطهما في الإرادة غلَطُهم في القدَر.

وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم وأصحابه، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفُروا ببعض، بل آمنوا بقضاء الله وقدَره ومشيئته العامة النافذة، وأنَّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّه مقلِّب القلوب ومصرِّفها كيف أراد، **وأنَّه يهدى من يشاءُ بفضله ورحمته ويضِلُّ من يشاءُ بعدله وحكمته، وأنَّه هو الذي وفَّق أهلَ الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصَوه، وأنَّه حال بين الكفار وقلوبهم فإنَّه يحُول بين المرء وقلبه فكفروا به ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه،** وأنَّه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.[1]



١- انظر «طريق الهجرتين» (ص ٨٩-٩٠).

لا حجة لعاصٍ في الاستدلال على انحرافه بالقدَر

المسألة السابعة: إذا تقرَّر هذا، فاعلم أنَّه **ليس للعاصي على الله حجَّةٌ في القدر**، فإنَّ مَن وجَّه وجهه لله حبَّب إليه الإيمان وزيَّنه في قلبه وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين، وأمَّا مَن وجَّه وجهه لغير الله، وتولَّى عدوَّه الشيطان لم ييسِّره للهدى، بل وَلاَّه الله ما تولَّى، وخذَله، ووكَله إلى نفسه، فضَلَّ وغوى وليس له على ربِّه حُجَّة، **فإنَّ الله أعطاه جميع الأسباب التي يقدِر بها على الهداية، ولكنَّه اختار الضلالة على الهدى، فلا يلومَنَّ إلا نفسه**، قال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[الأعراف: ٣٠]. [١]

فمن احتجَّ بالقدَر على ترك الطاعة وفِعل المعاصي، يقال له: لو كنت تريد السفر لمكَّة، وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أنَّ أحدَهما مُخُوف صَعب والثاني آمِن سهل، فإنَّك ستسلُك الثاني، ولا يمكن أن تسلُك الأول وتقول: إنَّه مقدَّر علي، ولو فعلت ذلك لعدَّك الناس في قسم المجانين.

فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو أدنى، ثم تحتجُّ بالقدَر؟[٢]

١- «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٩)

٢- «عقيدة أهل السنة والجماعة» لابن عثيمين (ص ٢٩).

يقول أبو الوفاء محمد درويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة له في «القضاء والقدر»[١]: «فإن قصَّرنا في عمل كان في وُسعنا أنْ نعملَه، وحاق بنا تقصيرُنا، كنَّا خُلَقاءَ باللَّوم والتَّثريب، وأحرِياءَ بما أعدَّ اللهُ للمقصِّرين من الخَيبة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، **فكلُّ امرئ يدرِك إدراكًا تامًّا الفَرق بين ما يأتيه وما يذَر، وما يصيبه وليس له فيه اختيار، ومَن أنكر هذا فقد سفِهَ نفسَه وأنكر عقلَه**». انتهى.

فالعاقلَ خَصمُ نَفسِه، والجاهِل خَصمُ أَقدارِ رَبِّه[٢]، كما قيل:

وعــــاجِزُ الــــرأي مِضـــياعٌ لفُرصَــــتهِ
حتــــى إذا فــــاتَ أمــــرٌ عاتَــــبَ القــــدَرَ

١- نقلا عن «العقائد السلفية» (١/ ٤٦٧). وانظر: «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد» للحملاوي (ص ٢٢٥).

٢- «مدارج السالكين» (١/ ١٠١).

ولقد أحسن علامة تونس محمد المكي بن عزُّوز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال[١]:

«**فالإنسان له اختيار، للفَرق الضروري بين حركة الارْتعاشِ وحركة البطْشِ.**

وعلى فعله بقَصده وتعمُّده يُثاب ويُعاقب، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩].

والتفريطُ اعتمادًا على القدَر جهلٌ، فالَّذي على العبد أنْ يسعى في الصالحات، ولا يتجاوز خطَّتَه إلى التكلُّف فيما أخفاه اللهُ عنه مِن أنَّه المَقدور أو مِن غير المَقدور.

ثم الرجوع إلى القدَر يكون عند الطاعات من غير كَسَل، وبعد المصائب، لا عند الذنوب، فهو سوء أدب، ومِن غرور الشيطان». انتهى.

١- «عقيدة التوحيد الكبرى» (ص ٣٣-٣٤). ولي على هذه العقيدة المباركة شرحٌ صوتي:



يُستدَلُّ بالقدَر في المصائب، ولا يُستَدَلُّ بالقدَر في المعائب

المسألة الثامنة: من القواعد الهامَّة في هذا الباب قول أهل العلم: «**يُستدَلُّ بالقدَر في المصائب، ولا يُستدَلُّ بالقدَر في المعائب**».

وقد قرَّر هذا شيخُ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب،** كما قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[غافر: ٥٥]، **والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب**». انتهى.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا على مَن يَحتَجُّ بالقَدَر على كُفْرِه وفُجُورِه[2]: «يا ويله ظهيرا للشيطان على ربِّه، خصما لله مع نفسه، جبري المعاصي، **قَدَريُّ الطاعات، عاجِزُ الرأي،** مضياع لفرصته، قاعد عن مصالحه، معاتب لأقدار ربِّه، يحتجُّ على ربِّه بما لا يقبله من عبده وامرأته وأمَته إذا احتجُّوا به عليه في التهاون في بعض أمره، فلو أمر أحدَهم بأمر ففرَّط فيه، أو نهاه عن شيء فارتكبه، وقال: القدر ساقني إلى ذلك، لما قبِل منه هذه الحجة، ولبادر إلى عقوبته.

١- «الفتاوى» (٨/ ٤٥٤).

٢- في «مدارج السالكين» (١/ ٢١٠).

فإن كان القدَر حجَّةً لك أيها الظالم الجاهل في ترك حق ربك، فهلَّا كان حجَّةً لعبدك وأمَتك في ترك بعض حقك؟». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله ولشيخه ابن تيمية نحوُ هذا نظمًا ونثرًا في مواضع كثيرة، ومن ذلك قوله في «القصيدة التائية في القدر»[1]:

وهَبْـــكَ كفَفْـــتَ اللَّـــومَ عـــن كُـــلِّ كـــافرٍ
وكُـــلِّ غَـــوِيٍّ خـــارِجٍ عـــن مَـــحَجَّةِ
فيَلزَمُـــكَ الإعـــراضُ عـــن كُـــلِّ ظـــالمٍ
علـــى النَّـــاسِ في نَفْـــسٍ ومـــالٍ وحُرْمَـــةِ

١ - «الفتاوى» (٨/ ٢٤٨).

المحتجُّ بالقدَر مشابهٌ للمشركين، مخاصِمٌ لربِّ العالمين

المسألة التاسعة: الاحتجاج بالقدَر في المعائب سبيل المشركين الَّذين اعتذروا عن شركهم وتحريمهم ما أباح الله بالمشيئة، وجعلوا مشيئةَ الله مرادِفةً لمحبَّته، فقالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾[النحل: ٣٥]، وجهِلوا **أنَّ محبَّة الله تعالى للشيء ورضاه به إنَّما يُعلَم بأمره به على لسان رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **لا بمُجرَّد مشيئته العامة للشيء وخَلقه له**، فإنَّه سبحانه خلق إبليس وجنودَه وهم أعداؤه وهو تعالى يبغضهم ويلعنهم وهم خلقُه، وهكذا خلَق الأفعالَ خيرَها وشرَّها، وهو يحِبُّ خيرَها ويأمر به ويُثيب عليه، ويبغض شرَّها وينهى عنه ويعاقِب عليه، وكلاهما خلقُه، ولله في ذلك الحكمة البالغة، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.(١)

وقد أبطل حُجَّة المشركين في كتابه، حيث قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن

١- انظر «طريق الهجرتين» (ص ٨٩).

تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩]، **وذلك مِن عِدَّة وجوه:**[1]

أولها: أنَّ هذا الاحتجاج بالقدر على الشر، لم يمنعهم من عذاب الله، حيث قال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾.

وثانيها: أنَّ الله وبَّخهم على ذلك، وطالبهم بالبرهان في قوله: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾، فنَفى عنهم العلم، وأخبرَ أنَّهم يتَّبعون الظنَّ الذي لا يُغني من الحقِّ شيئا.

وثالثها: أنَّه أخبر أنَّ له الحجَّةَ البالغة على جميع مَن تجرَّأ على معاصيه، فمن احتج بعد ذلك على المعاصي فهو أظلم الظالمين.

ورابعها: أنَّ هذا المحتجَّ بالقدر، المقيمَ لعُذر نفسه على ربِّه، يكَذِّب نفسَه بنفسه، فإنَّه لو تجرَّأ عليه أحدٌ بتَعدٍّ على ماله أو بدنه أو محبوباته، ثمَّ اعتذر لذلك بالقدَر لم يَقبل عذرَه، فكيف يقبَل عُذرَ نفسه على تجرُّئه على ربِّه؟! ولهذا، كان المحتجُّ بالقدر على المعاصي: كاذبًا بالكتاب والسنة والعقل.

١- انظر «الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية» لابن سعدي (ص ١٩-٢٠).

وحُجَّـــــةُ محـــــتجٍّ بتقـــــدير ربِّـــــهِ
تزيـــــدُ عـــــذابًا كاحتجـــاجِ مَريضـــــةِ

والخلاصة أنَّ المحتجَّ على آثامه وتقصيره في حقِّ ربِّه بالقدر قد ارتكب أربعة محاذير:[1]

أوَّلها: اقترافه للذنب.

وثانيها: احتجاجه عليه بالقدر.

وثالثها: زعمه أنَّ الله اضطرَّه وألجأه إليه، وأكرَهه عليه، وهو لا يريده، وهذا كذب صريح، وإفكٌ قبيح، فإنَّ الله مكَّنه من الترك، بل فتح له كل باب يصدُّه عن الذنب = ولكنْ أبَت نفسُه الأمَّارةُ بالسوء إلَّا أنْ توقِعه في الذنب، وتجُرَّه إلى مخاصَمة الرب.

ورابعها: أنَّه بهذا الاعتذار، يمَهِّد على نفسه الإصرارَ على الذنوب، والإقامةَ على ما يُسخِط علَّامَ الغيوب.

١- انظر «الدرة البهية» (ص ٦٧).

معنى حديث «وإذا ذُكِر القدَرُ فأمسِكُوا»

المسألة العاشرة: جاء في الأخبار الصحيحة النهي عن الخوض في القدر، ومن ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإذا ذُكِر القدَرُ فأمسِكُوا**».[١]

والمرادُ بهذا الحديث هو النهي:[٢]

- عن الخوض في القدَر بغير علم ولا هدى.
- والخوض فيه على وجه المنازعة والاعتراض على الله.

وليس المقصود به مطلق السكوت عن الكلام في القدر -ولو بالحق-، بدليل أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في أوَّل هذا الحديث: «**إذا ذُكِر أصحابي فأمسِكُوا**»، وليس معنى ذلك أننا لا نتحدث عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وسيرتهم وفضائلهم وأحوالهم؟! بل المراد: إذا ذُكِر أصحابي بباطل فأمسكوا، وكذلك القدر، فإنَّ الكلام فيه بباطل طريق الخذلان، وسُلَّم الحرمان.

ولأهميَّة باب القدر، أعاد النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفظَ «**وتؤمن**» عند ذكَر القدر، فقال: «**وتؤمنَ بالقَدَر**».

١- رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٤٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

٢- انظر «القضاء والقدر» للمحمود (ص ٢٥-٢٧).

وذلك لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرَف -بما أوحاه الله إليه- أنَّ أمَّتَه ستخُوض فيه، إثباتًا ونفيًا، حتى بلَغ الأمرُ ببعضهم أنْ قالوا: (إنَّ الأمرَ أُنُف، ولا قدَر)، فلذلك أعاد «**وتؤمن**»، ثم قرَّرَه بالإبدال بقوله: «**خيرِه وشرِّه**»، وفي رواية: «**وحُلوُه ومُرِّه**»، فإنَّ البَدَل توضيحٌ، وأكَّد ذلك كما في رواية أخرى بقوله: «**مِن الله**».[1]

ولَمَّا كان بابُ القدَر بهذه الخطورة، كان السلف يتوَقَّون الخوضَ في أسراره، ويُرشِدون السائلَ إلى ما ينبغي أنْ يصرِف إليه همَّتَه، وهو العمل والاستقامة على دين الله وشرعته.

قال بلال بن أبي بردة لمحمد بن واسع: ما تقول في القدر؟

فقال رَحِمَهُ اللهُ: «**أيها الأمير، إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لايسأل عبادَه يوم القيامة عن قضائه وقدره، وإنَّما يسألهم عن أعمالهم**».[2]

١- انظر «شرح المشكاة» للطيبي رَحِمَهُ اللهُ (٢/ ٤٢٦)، و«فتح الباري» (١/ ١١٨).

٢- رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٤)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٣/ ١٤١). وانظر «شرح ابن بطال للبخاري» (١٠/ ٣٠١-٣٠٢).

وهذا موافق لجواب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قيل له: «أفلا نتَّكِلُ على كِتابِنا ونَدَعُ العمل؟»، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اعمَلُوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له**».(١)

ولهذا، قال بعض الصحابة الذين فقهوا عن الله ورسولِه مرادَه لما سمع أحاديث القدر: «ما كنت بأشدَّ اجتهاداً مني الآن».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «فإنَّ العبدَ ينال ما قُدِّر له بالسَّبب الذي أُقدِر عليه، ومُكِّن منه، وهُيِّئ له، **فإذا أتى بالسَّبب أوصَلَه إلى القدَر الذي سبَق له في أُمِّ الكتاب**، وكُلَّما زاد اجتهادًا في تحصيل السَّبب كان حُصولُ المَقدور أدنى إليه، وهذا كما إذا قُدِّر له أنْ يكون مِن أعلمِ أهلِ زمانه فإنَّه لا يَنال ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلُّم وأسبابه، وإذا قُدِّر له أن يُرزق الولد لم ينل ذلك إلا بالنكاح...». انتهى.

وفي «صحيح مسلم»(٣) قال : « **احْرِص على ما ينفعُك، واسْتَعِنْ بالله ولا تَعْجَز، وإنْ أصابك شيءٌ، فلا تقُل لو أنِّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ قَدَرُ الله وما شاء فعَل**»، فجمع في هذا الحديث بين:(١)

١- رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

٢- «شفاء العليل» (ص ٢٥-٢٦). وانظر «القضاء والقدر» للأشقر (ص ٨٥).

٣- (٢٦٦٤).

- الحرص على النافع في الآخرة وهو العمل الصالح، كما يحرص العبد على النافع في الدنيا كطلب الرزق.
- والتوكل على الله، والاستعانة به في تحصيلها، فإنَّه لا يقع شيء في مُلكه إلا بإذنه.
- وشكر الله على ما يسَّره منها.
- والرضا عنه بما فات، ولم يحصل منها.



=

١- انظر شرحًا بديعًا لهذا الحديث في «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» للعلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٣٣-٣٨).

ليس في أفعال الله شرٌّ

المسألة الحادية عشرة: المقصود بالشرِّ في قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وتُؤمِنَ بالقدَر خيرِه وشَرِّه**» ما كان مِن جهة المَقضيِّ والمقدَّر المفعول، لا ما يكون مِن جهة القضاء والتقدير الذي هو فعل الله جَلَّ جَلَالُهُ، فإنَّ أفعال الله كلَّها خير وحكمة، وفي الحديث: قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مثنيًا على ربِّه: «**والخيرُ كلُّه في يدَيك، والشَّرُّ ليس إليك**»[١]، أي: فإنَّك لا تخلُق شرًّا محَضًا، بل كلُّ ما يخلُقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خيرٌ، ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس، فهذا شرٌّ جزئيٌّ إضافيٌّ، فأمَّا شرٌّ كليٌّ، أو شرٌّ مطلقٌ: فالربُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزَّه عنه، وهذا هو الشرُّ الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفرَدًا قط.[٢]

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وكونُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق أفعالَ العِباد وفيها الظلمُ لا يقتضي وصفَه بالظُّلم، كما أنَّه لا يُوصَفُ بسائر القبائح التي يفعلُها العِباد، وهي خَلْقُه وتقديرُه، **فإنَّه لا يُوصَفُ إلاَّ بأفعاله لا يُوصف**

١- رواه مسلم (٧٧١). انظر «البحر المحيط الثجاج» للإثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٦/ ٩٧-٩٨) (١٦/ ١٠٨).

٢- انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٢٦٨-٢٦٩)، و«مجموع الفتاوى» (٨/ ٥١١)، و«شفاء العليل» (ص ١٨١).

٣- «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٦٥٩).

بأفعال عباده، فإنَّ أفعالَ عباده مخلوقاتُه ومفعولاتُه، وهو لا يُوصَفُ بشيءٍ منها، إنَّما يوصَفُ بما قام به من صفاته وأفعاله! والله أعلم». انتهى.



خلاصة الكلام على أركان الإيمان

في خاتمة الكلام على أركان الإيمان، أشير إلى بعض الفوائد، **وذلك في مسألتين:**

لا ينْجُو المسلم مِن كُفر الإعراض إلَّا بتعلُّم أصل الدين

المسألة الأولى: تقدَّم في هذا الشرح بيانُ أركان الإيمان الستَّة على وجه التفصيل، وذلك أعظمُ نفعًا للسائر إلى الله والدار الآخرة، وهذا ما قرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله[١]: «**فمن عَلِم بما جاء به الرسولُ، وآمَن به إيمانًا مفصَّلًا، وعمِل به، فهو أكملُ إيمانًا وولاية لله ممَّن لم يعلَم ذلك مفصَّلًا، ولم يعمَل به**». انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكنَّ تلك التفاصيلَ لا تلزَم إلَّا مَن بلغَه دليلُها، وأمَّا مطلَقُ المؤمنين، فهم مخاطَبون بالقدْر المُجزِئ الذي لا يصِحُّ إيمانُهم إلَّا به، **فإنَّ كلَّ رُكن مِن هذه الأركان الستَّة له قَدرٌ واجبٌ لا يَصِحُّ إيمانُ العَبد إلَّا به**، ولو أعرَض عنه المسلمُ كان مُعرِضًا عن تَعَلُّم أصل الدين.

قال الشيخ عبد اللطيف ن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن كُفر الإعراض[٢]: «**إذا عُدِمَ الأصلُ الذي يَدخُل به في الإسلام، وأعرضَ عن**

١- «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص ٤٣).

٢- انظر «الدرر السنية» (٨/ ٣٦٠).

هذا بالكلية، فهذا كُفرُ إعراض». انتهى.

قال الشيخ ابن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعَقِّبًا[١]: «**فتبيَّن أنَّ الإنسانَ لا يكفُر إلَّا بالإعراض عن تعلُّم الأصلِ الذي يدخُل به الإنسان في الإسلام»**. انتهى.

والمرادُ بأصل الدين ما تقوم عليه عقيدةُ المسلم مِن الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسُله، واليوم الآخر، والقدَر خيرِه وشرِّه.

١- «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص ٨٢).

القَدْرُ الواجِبُ المُجْزِئُ مِن أركان الإيمان

المسألة الثانية: القَدْرُ الواجِبُ المُجْزِئُ:[١]

من الإيمان بالله هو: الإيمانُ بوجوده سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ربًّا، مستحِقًّا للعبادة، له الأسماء الحُسنى والصفات العُلا.

ومن الإيمان بالملائكة هو: الإيمانُ بوجودهم، وبأنَّهم خَلق مِن خَلق الله، وأنَّ منهم مَن ينزِل بالوحي على الأنبياء بأمر الله.

ومن الإيمان بالكتُب هو: الإيمانُ بأنَّ اللهَ أنزل على مَن شاء من الرسُل كتُبًا هي كلامُه جلَّ وعلا، وأنَّ منها القرآن، وهو ناسِخٌ لها.

ومن الإيمان بالرسُل هو: الإيمانُ بأنَّ اللهَ أرسَل إلى الناس رسُلًا منهم، ليأمُروهم بعبادة الله وحدَه، وأنَّ خاتِـمَهم محمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

١- انظر «فتح الباري» (١/ ١١٧-١١٨)، و«شرح الأربعين» للشيخ صالح آل الشيخ (ص ٥٧-٦٦)، و«الجمع المتين لواجِب المعرِفة مِن أصول الدِّين» للشيخ صالح العصيمي، وهو مِن جمع أخينا عبدالله الجزائري-شكر الله سعيه-.

ومن الإيمان باليوم الآخر هو: الإيمانُ بالبَعث في يوم عظيم هو يوم القيامة، لمجازاة الخَلق، فمَن أحسن فله الجنَّة، ومَن أساء فله النَّار.

ومن الإيمان بالقدر هو: الإيمانُ بأنَّ اللهَ قدَّر كلَّ شيءٍ مِن خيرٍ وشرٍّ أزَلًا، وكتَبَه عندَه، ولا يكون شيءٌ إلَّا بمشيئتِه وخَلقه، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.



حقيقة الإحسان

ثم قال السائل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخبِرني عن الإحسان»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أنْ تعبُدَ اللهَ كأنَّك تَراه، فإنْ لم تكُنْ تَراه فإنَّه يَراك».

وهذه هي المرتبة الثالثة مِن مراتب الدين، وهي: «**الإحسان**».

والكلام على الإحسان في مسائل:

تعريف الإحسان

المسألة الأولى: الإحسان لغةً: مصدر مِن أحسَن، وهو مشتقٌّ مِن الحُسن الذي ضدُّ القُبح، والإحسان ضدُّ الإساءة، قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧].

والإحسان يتعدَّى بنفسه وبغيره، تقول: «أحسنت الشيء» إذا أتقنته وأكملته، و«أحسنت إلى فلان» إذا أوصلت إليه النفع، **والأول هو المراد، لأنَّ المقصودَ إتقان العبادة،** وقد يُلحَظ المعنى الثاني باعتبار أنَّ المخلِص مثلا محسِنٌ بإخلاصه إلى نفسه.[1]

١- انظر «مفردات القرآن» (ص ٢٣٦)، و«المنهج المبين» (ص ١٥٦)، و«فتح الباري» (١/ ١٢٠).

والمراد بالإحسان هنا: إتقان العبادات وإكمالها وإصلاحها على ما يليق بها، ومراعاة حقوق الله تعالى فيها، ومراقبته، واستحضار عظمته وجلاله، حالة الشروع فيها، والاستمرار عليها.(١)

ومشهد الإحسان أصلُ أعمال القلوب كُلِّها، فإنَّه يوجِب الحياءَ والإجلالَ والتَّعظيمَ والخشيةَ والمحبَّةَ والإنابةَ والتوكُّلَ والخضوعَ لله سبحانه والذُّلَّ له، **وعلى قَدْر حظِّ العبد من مقام الإحسان يكون حظُّه من القرب من الله.**(٢)

وأحسَن ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله:(٣)

والله لا يرضـــــى بكثـــــرةِ فعلِنـــــا
لكــــنْ بأحسَـــــنِه مــــعَ الإيمــــانِ
فالعــــــارِفون مُــــــرادُهمْ إحســــــانُهُ
والجــــاهلون عَمُـــوا عـــنِ الإحســـانِ

١- «المنهج المبين» (ص ١٥٦).

٢- انظر «رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه» (ص ٣٨-٣٩).

٣- «الكافية الشافية» (ص ٣٥).

مقام المشاهدة ومقام المراقبة

المسألة الثانية: فسَّر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإحسان بقوله: «**أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه**»، وهذا أعلاها وهو مقام المشاهدة، «**فإن لم كن تراه، فهو يراك**»، وهذا أقلُّ مِن الأول، وهو مقام المراقبة أو مقام الإخلاص.

وعليه، **فالإحسان له مقامان:**

- نهايتُه أن يعبد المؤمنُ ربَّه كأنه يراه بقلبه، فيكون مستحضِرًا ببصيرته وفكرته لهذا المقام، فيغلُب عليه مشاهدة الحق كأنَّه يراه.
- فإنْ عجَزَ عنه وشقَّ عليه انتقل إلى مقام آخر وهو أن يعبد الله على أنَّ الله يراه ويطَّلع على سرِّه وعلانيته ولا يخفى عليه شيء من أمره، فيعبده بإخلاص وقوة عزم.(١)

وكلا المقامين إحسان، وإنَّما يقع التفاوت بينهما بقَدْر نقاوَة المعرفة والخشية لله، ولهذا جاء في رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحديث، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنْ تَخشَى الله كأنَّك تَراه**»(٢).

١- انظر «المنهج المبين» (ص ١٥٦-١٥٧)، و«فتح الباري» لابن رجب (١/ ٢١١).

٢- رواه مسلم (١٠).

قال بعض السلف: «**مَن عمل على مشاهدة الله، فهو عارف، ومَن عمل على مشاهدة الله إياه، فهو مخلص**».[١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «فإنَّ مَن عَبَدَ الله كأنه يراه لم يكُن ذلك إلَّا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها». انتهى.

يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصِفًا حال السائرين إلى الله[٣]:

عَبَدُوا الإلَهَ على اعتِقادِ حُضُورِهِ
فتبَوَّؤُوا في مَنْزِلِ الإحسانِ

١- انظر «رسائل ابن رجب» (٣/ ٣٣١).

٢- «الداء والدواء» (ص ١٧٤). وانظر «رسالة ابن القيم إلى احد إخوانه» (ص ٣٨).

٣- انظر «شرح قصيدة السير إلى الله والدار الآخرة»، للمؤلف:



جزاء الإحسان في الدنيا: الحُسنى في الآخرة

المسألة الثالثة: جزاء الإحسان في الدنيا هو الحسنى في الآخرة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ﴾[يونس: ٢٦]، والذين أحسنوا هنا هم أهل الإحسان، فجعل الله جزاء الإحسان الحسنى وهي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.[١]

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠]، فحين أحسنوا في هذه الدنيا أحسن الله إليهم، فأدخلهم الجنة.[٢]

قال القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نونيَّته»:[٣]

كُـــنْ محسِـــنًا فيمـــا اســـتطعت فرُبَّمـــا
تُجـــزى عـــن الإحســـانِ بالإحســـانِ
واعمـــل لجنَّـــاتِ النَّعـــيمِ وطِيبِهـــا
فنَعِيمُهـــا يبقـــى ولـــيس بفـــانِ

١- انظر «رسائل ابن رجب» (٤/ ٣٠٢)، و«فتح الباري» له (١/ ٢١٥).

٢- انظر «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٨).

٣- (ص ٥٠).

ولَمَّا وصف ابن القيم الجنَّة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[١]

سُـــكَّانُها أهـــلُ القيـــام مـــع الصـــيامِ
وطَـــــيِّبِ الكلمـــــاتِ والإحســــــانِ

فجمع أهلُ الجنَّة بين أداء حق الله، وحق عباده، فأحبَّهم المخلوق، ورضي عنهم الخالق.



١- «الكافية الشافية» (ص ٣٢١).

الإحسان يكون في عبادة الخالق، وفي حقِّ المخلوق

المسألة الرابعة: ينقسم الإحسان[١] بحسب المحسَن فيه وإليه، إلى:

- **إحسان في العبادة:** وهذه هي المرادة في هذا الحديث، وهي بدورها تنقسم بحسب كمالها إلى مقامين: مشاهدة ومراقبة.
- **وإحسان إلى النفس:** وذلك بتزكيتها مِن آثامها ظاهرًا وباطنًا، وتحليتها بالعبادات والكمالات قولًا وفعلًا واعتقادًا، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[الإسراء: ٧].
- **وإحسان إلى الغير:** وذلك بفعل الأحسن لهم، وكفِّ الإساءة عنهم، وهذا الغير قد يكون إنسانًا، أو حيوانًا.

والنصوص جاءت بالحثِّ على الإحسان إلى جميع الخَلق: بدءًا بالوالدين لعِظَم حقِّهما، ومرورًا بالأقارب والفقراء والجيران، وانتهاءًا إلى البهائم حيث أمرَت الشريعة بالإحسان إليهم في حياتهم وعند مماتهم، وهذا كلُّه مِن كمال شريعة الإسلام التي جاءت لجَلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

١- انظر «موسوعة العقيدة» (١/ ٩٥).

أشراط الساعة

ثم قال السائل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأخبِرنِي عن السَّاعة»، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما الـمَسئُولُ عنها بأعْلَمَ منَ السَّائِل**».

قال: «فأخبِرنِي عن أمَارَتِها»، قال: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها، وأنْ ترى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُونَ في البُنيان**».

فبعد أنْ سأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، سأل النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة، أي عن وقتها، فلمَّا أخبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّه لا يعلم ميقاتَها أحدٌ إلا الله، سأل عن أماراتِها الدالَّة عليها، لأنَّ أماراتِ الشيء مؤذِنةٌ بقدومه وقُربه، فحينها أخبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعض علاماتها، كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى.

والكلام على الساعة وأشراطها في مسائل:

تعريف الساعة وسبب تسميتها

المسألة الأولى: الأشراط لغةً جمع شَرْط، وهو العلامة[1]، **وأمَّا الساعة** فهي جزء مِن أجزاء الزمان، تمضي وتستَمِرُّ، والمراد بها الوقت الذي تقوم فيه

١- انظر «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٦٠).

القيامة، فتفجأ الناس في ساعة، فيموت الخَلق كلُّهم فيها بصيحة واحدة.[١]

والمقصود بأشراط الساعة هنا: «**العلامات التي يعقُبها قيامُ الساعة**».[٢]

وهذه العلامات متفاوتة فيما بينها -كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى-، فبعضُها يقع قبل قيام الساعة مع جملة الأمور التي أخبر بها الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعضُها يعقبه قيام الساعة بغير تخلُّل شيء آخر.

١- انظر «مفردات القرآن» (ص ٤٣٤)، و«الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» لصديق حسن خان (ص ٢٠)، و«موسوعة العقيدة» (١/ ٢٦٥).

٢- «فتح الباري» (١٣/ ٧٧، ٧٩-٨٠).

تقسيمات أشراط الساعة

المسألة الثانية: تنقسم أشراط الساعة بعدَّة اعتبارات[١]، ومِن ذلك أنَّها:

① **تنقسم باعتبار وقت خروجها إلى قسمين:**

○ **أشراط صغرى**: وهي التي تسبق الساعة وتتقدمها بأزمنة بعيدة.

وهي تنقسم بدورها باعتبار وقت ظهورها إلى:

- **أشراط صغرى ظهرت وانقضت**، كانشقاق القمر.
- **وأشراط ظهرت ولازالت تظهر**، كالذي ورد في هذا الحديث الذي نحن بصدده مِن تطاول الناس في البنيان.
- **وأشراط لم تظهر بعد**، كانحسار نهر الفرات عن جبل من ذهب.

○ **وأشراط كبرى**: وهي الآيات العظام التي تقارب قيام الساعة مقارَبة وشيكة، وهي مؤذِنة بانتهاء العالم.

- **وهي تنقسم بدورها باعتبار مقاربتها لقيام الساعة إلى:**
- **أشراط كبرى تدلُّ على قرب الساعة**، كظهور الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج يأجوج ومأجوج.
- **أشراط كبرى تدلُّ على حصول الساعة**، مثل طلوع الشمس من مغربها، وخرج الدابة، والنار التي تحشر الناس.

١- انظر «موسوعة العقيدة» (١/ ٢٦٧-٢٦٨).

② **وتنقسم أشراط الساعة باعتبار مكان وقوعها** إلى قسمين:

- **أشراط تقع في السماء**: مثل انشقاق القمر، وطلوع الشمس مِن مغربها.
- **وأشراط تقع في الأرض**: وهي أكثر أشراط الساعة.

③ **وتنقسم أشراط الساعة باعتبار موافقتها للعادة** إلى قسمين:

- **ما اعتاد الناس وقوعه**: كالتطاول في البنيان، وتفشِّي الجهل.
- **ما كان غير معتاد للناس: مثل طلوع الشمس مِن مغربها،** وخروج الدابة.



الحكمة مِن إخفاء موعد الساعة وجعل علامات لها

المسألة الثالثة: قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ما المَسئُولُ عنها بأعْلَمَ منَ السَّائِلِ**»، وإن كان مُشعِرًا بالتساوي في العلم، لكن المراد التساوي في العلم بأنَّ الله تعالى استأثر بعلم الساعة.(١)

وقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بأعْلَمَ من السَّائِلِ**»، عدَل فيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن قوله: (لست بأعلم بها منك) إلى لفظ يُشعِرِ بالتعميم، تعريضًا للسامعين، **أي أنَّ كلَّ مسؤول وكلَّ سائل فهو كذلك.**(٢)

فإنَّ الخلقَ جميعًا في موضوع الساعة سَواسِيَةٌ، قال جل وعلا: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[النازعات: ٤٢ - ٤٤]، وقال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف: ١٨٧]، فإن الساعة لا يعلمها إلا الله، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩]، ومفاتح الغيب بيَّنها اللهُ في آخر «سورة لقمان» بقوله: ﴿إِنَّ

١- انظر «فتح الباري» (١/ ١٢١).

٢- نفس المصدر (١/ ١٢١).

ﭐللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[لقمان: ٣٤]، الآية.

ومِن حكمة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الدعوة ونُصحه للناس، أنَّه إذا وُجِّه إليه سؤال بخصوص وقت قيام الساعة أخبر بأشراطها الدالَّة على قُربها، أو أرشد السائل -بحسب حاله- إلى ما ينفعُه ويعينُه في الاستعداد لها، فإنَّ العبرة بلقاء الله على خير حال، وحسن المنقلب إليه، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

المسألة الرابعة: ومِن الحكمة في إخفاء موعد الساعة:

- **ابتلاء الخَلق بالإيمان بالغيب.**
- **رحمة الله بعباده**، إذْ لو كانت معلومةً للناس لتكدَّرت حياتهم، وتوقَّف نشاطهم، ولربما هجم عليهم اليأس والقنوط، وهذا مناقض للسير إلى الله والدار والآخرة.
- **حثُّ الناس على الاستعداد لها**، سيَّما إذا تأمَّل العبدُ في أشراطها المؤذِنة بقربها.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -نقلًا عن أهل العلم-[١]: «والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها: **تنبيهُ الناس من رَقدتهم وحثُّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة**، كي لا يباغَتوا بالحَول بينهم وبين تدارك العوارض

١- «التذكرة» (ص ١٢١٧).

منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدُّوا للساعة الموعود بها». انتهى.

وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «والفائدة في بيان الأمارات هي أن يتأهَّب المكلَّف المسيرَ إلى المَعاد بزادِ التقوى». انتهى.

وقال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وإنَّما أخفى سبحانه أمرَ الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك، **فإنَّه أدْعى إلى الطاعة، وأزجرُ عن المعصية**، كما أنَّ إخفاءَ الأجل الخاص للإنسان كذلك». انتهى.

المسألة الخامسة: وإن كنَّا نجهَل السَّنَة والشهر الذي تقوم فيه الساعة، غير أنَّه قد صحَّت الأخبارُ أنَّ الساعةَ تقوم يوم الجمعة، ففي «صحيح مسلم»[٣] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**خيرُ يومٍ طلَعَت عليه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلق آدمُ، وفيه أُدخلَ الجنَّة، وفيه أُخرجَ منها، ولا تقوم الساعةُ إلاَّ في يوم الجمعة**».

١- «شرح المشكاة» (٢/ ٤٣٦).

٢- «روح المعاني» (٥/ ١٢٥).

٣- (٨٥٤).

انعكاس الأمور في آخر الزمان، وتطاول الحُفاة العراة في البنيان

المسألة السادسة: ذكر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في هذا الحديث- للساعة علامتين:[1]

الأولى: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّـتَها**» وفي رواية أبي هريرة « **رَبَّها**»: وفي هذا إشارةٌ إلى كثرة الفتوحات الإسلامية، وكثرة السَّبي، وأنَّ من المَسبيات مَن يطؤها سيِّدُها فتلد له، فتكون أمَّ ولد، ويكون ولدُها بمنزلة سيِّدها.

وفسِّر أيضا بتغيُّر الأحوال، وحصول العقوق من الأولاد لآبائهم وأمَّهاتهم وتسلُّطهم عليهم، حتى يكون الأولاد كأنَّهم سادة لآبائهم وأمَّهاتهم.[2]

والثانية: «**أنْ تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُونَ في البُنيان**»: ومعنى هذا أنَّ أسافِلَ الناس يصيرون رؤساءَهم، وتكثر أموالهم، حتَّى تتغيَّر أحوالُ الفقراء الذين يرعَون الغنَم والإبل ولا يجدون ما يكتسون به، فينتقلون إلى سكنى المدن، ويتباهَون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه.

المسألة السابعة: الجامع بين الأشراط المذكورة في الحديث هو أنَّ **الساعة يقرُب قيامُها عند انعكاس الأمور**، وتقلُّب الأحوال، بحيث يصير المربَّى

١- انظر «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٤٠)، و«شرح حديث جبريل» للعباد (ص ٧٨).

٢- وجزم به الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٢٢-١٢٣).

مربِّيًا، والسافِل عاليًا.[١]

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ومضمونُ ما ذُكر من أشراطِ الساعة في هذا الحديث يَرجِعُ إلى أنَّ الأمور تُوَسَّدُ إلى غير أهلها، كما قال النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن سأله عن الساعة: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه، فانتظِر الساعة**»[٣]». انتهى.



١- انظر «فتح الباري» (١/ ١٢٣).

٢- «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٤٣).

٣- رواه البخاري (٥٩).

ذكر الشيء في علامات الساعة لا يعني حِلاًّ ولا حُرمةً في ذاته

المسألة الثامنة: ليس كلُّ ما أخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكونه من علامات الساعة يكون محرَّمًا أو مذمومًا، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك، بل تكون بالخير والشر والمباح والمحرَّم والواجب وغيره.[1]

وشاهِدُ ذلك أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكَر في علامات الساعة:

- **فتح القسطنطينية**، وهذا خير كبير، ونصر لهذا الدين.
- **وكثرة القتل، وهدم الكعبة**، وهذا من أعظم الفساد والشر.
- **وفُشُوُّ المال، وكَون خمسين امرأةً لهن قيِّمٌ واحِدٌ**، وهذا مباح.

بل ربما اختلف أهلُ العلم في نفس العلامة، فحمَلَها بعضُهم على ما فيه خير عظيم أو ما فيه شر كبير، ومن ذلك ما ورد في هذا الحديث من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها**»، فحملها بعضهم على كثرة الفتوحات، وحملها آخرون على كثرة العقوق -كما تقدم-، وبينهما ما لا يخفى.



١- انظر «شرح مسلم» للنووي (١/ ١٥٩).

خاتمة الشرح

قال: **ثُمَّ انطلَقَ فلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قال لي: «يا عُمَرُ أتَدْري مَن السَّائِلُ؟»**

قلتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ، قال: «فإِنَّهُ جِبريلُ أتاكُم يُعَلِّمُكُم دينَكم».

والكلام على آخر الحديث في مسائل:

المسألة الأولى: قوله: «مَلِيًّا» أي: زمانًا، فقد أخبر النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابَه عن السائل بأنَّه جبريل عقب انطلاقه، وجاء أنَّه أخبر عمرَ بعد ثلاث، ولا تنافي بين ذلك، لأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر الحاضرين ولم يكن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معهم، بل يكون انصرف من المجلس، واتَّفق له أنَّه لقي النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ثلاث فأخبره.[١]

حكم قول: «الله ورسوله أعلم»

المسألة الثانية: مِن أدب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وحُسن أدبهم في التعلُّم قولهم بحضرة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ**»، وهذا جائز في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما بعد وفاة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جرى إطلاقُها عند بعض أهل العلم، ولكن لم يحصل الوقوف على إطلاق الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لها بعد وفاته

١- انظر «شرح مسلم» للنووي (١/ ١٦٠).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل الظاهر خلافه.[١]

وقد يُحمَل كلامُ أهل العلم في قولهم «اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ» بعد وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إطلاق ذلك في مواطن التشريع، فإنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بشريعة الله، وعِلمُه بها مِن عِلم الله الذي علَّمه، وأما ما سوى ذلك من المغيبات، ومن أُمور الدنيا فلا.[٢]

والآن نقول فقط: «الله أعلم»[٣]، حتَّى في الأمور الشرعية، لعدم اطلاعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما جدَّ مِن حوادثَ، وحسمًا للتوسُّع في هذا الباب، على وجه يوقع في إطلاق ذلك في الغيبيات، كما نراه عند بعض العامة، والعلم عند الله تعالى.

١- انظر «معجم المناهي اللفظية» للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٢٨).

٢- انظر «المناهي اللفظية» للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ١٧).

٣- انظر «فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ١٦٣).

مَن سأل ليُفيد الناس، فهو معلِّمٌ لهم

المسألة الثالثة: قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإِنَّهُ جِبريلُ أتاكُم يُعَلِّمُكُم دينَكم**»، يفيد أنَّ مَن سأل ليُفيد الناس، فهو معلِّمٌ لهم.

قال ابن المنير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «في قوله: «**يُعَلِّمُكُم دينَكم**» دلالة على أنَّ السؤالَ الحسَن يسمَّى عِلمًا وتعليمًا، لأنَّ جبريلَ لم يَصدُر منه سِوى السؤالُ، ومع ذلك فقد سمَّاه مُعلِّمًا.

وقد اشتهر قولهم: «**حسنُ السؤال نصفُ العلم**»، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث، لأنَّ الفائدة فيه انبَنَت على السؤال والجواب معًا». انتهى.

وقد ذكر الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد هذا الحديث أنَّه **ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها** ليحصل الجواب للجميع.[٢]

وأمَّا ما روى الخطيب البغدادي عن وكيع أنَّه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من استَفهم وهو يفهَم، فهو طَرَف من الرياء**»[٣]، **فهو محمول على مَن أراد العُلوَّ على**

١- «فتح الباري» (١/ ١٢٥).

٢- «شرح مسلم» (١/ ١٦٠).

٣- «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ١٩٧). وانظر «النبذ في آداب طلب العلم» لحمد العثمان (ص ٧).

أقرانِه لا نفعَ إخوانِه، كأن يَستَشكِل مسألةً في العلم دقيقَةً ليُظهِر للحاضِرين عُلُوَّ كَعبِه وجَودَةَ فَهمه، ويتَّضِحُ هذا بقول وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرواية الأخرى: «**مَن فَهِم ثم استفهَم فإنما يقول: اعرفوني إني أُجيد أَخذ الحديث**».[١]

ولهذا قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «**التفقه في الدين، والسؤال عن العلم، إنما يُحمد إذا كان للعمل، لا للمراء والجدل**». انتهى.

وأفاد الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رواية عُمارةَ بنِ القعقاع عن أبى زُرعة عن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سلُونى**»، فهابوه أن يسألوه، فجاء رجل فجلس عند ركبتيه[٣]، فكان السؤال هنا للتعليم لَمَّا امتنع الصحابة من السؤال.

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا: «**سلُونى**»، هذا ليس بمخالف للنهي عن سؤاله في أحاديث أخرى، فإن هذا المأمور به هو فيما يُحتاج إليه، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].[٤]

١- «الجامع» (١/ ١٩٧).

٢- «جامع العلوم» (١/ ٢٥٨).

٣- انظر «فتح الباري» (١/ ١١٧).

٤- انظر «شرح مسلم» (١/ ١٦٥).

أهمية تعليم العلم النافع

المسألة الرابعة: في هذا الحديث أهمِّيَّة تعليم العلم النافع، وفي الحديث قال ﷺ: **«إنَّ اللهَ وملائكته وأهلَ السَّمواتِ والأرضِ، حتى النَّملةَ في جُحْرِها، والحيتان في البَحْرِ، ليُصَلُّون على مُعَلِّم الناس الخيرَ»**.[١]

ومِن أعظم الخير تعليمُ الناس ما تعلَّق بمراتب الدين العظام، ومبانيه التي قامت عليها الشريعة، مِن إسلام وإيمان وأحسان.

قال ابن القاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كنا إذا ودَّعْنا الإمام مالكًا يقول: **«اتقوا الله، وانشُروا هذا العلمَ، وعلِّموه، ولا تكتموه»**.[٢]

وقال ابن عبد الهادي[٣] متحدِّثًا عن سبَب حُبِّ العامَّةِ لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «وسائر العامَّة تحبُّه، لأنَّه منتَصِب لنفعهم ليلًا ونهارًا، بلسانه وقلمه». انتهى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهُ وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

١- رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٨).

٢- «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٨).

٣- «العقود الدرية» (ص ١٦٩). وانظر (ص ٧٣٩).

فهرس الموضوعات

